جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

من بلاغة اختلاف الرواية في الحديث النبوي وأثر ذلك في إثراء المعنى

الدكتور
البدري فؤاد عبد الغني عبد الرازق
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بجرجا

العدد الخامس عشر
للعام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفصح العرب لسانا ، وأبلغهم كلاما ، وأبينهم حجة ، وأقواهم إيمانا سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– النبي العربي الأمين ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلي يوم الدين.

وبعد

فغني عن البيان: أن الله –سبحانه وتعالى– خص نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم– بجملة من الخصائص ، من أهمها ، أنه أوتي جوامع الكلم وخواتمه وفواتحه ، واختصر له الكلام اختصارا ، فجمع له المعاني الكثيرة في ألفاظ يسيرة ، وجعل ذلك من أدلة نبوته ، وأعلام رسالته ؛ ليسهل على السامعين حفظه ، ولا يشق عليهم حمله وتبليغه ، وكل هذا من الحفظ الذي تكفل الله به لهذا الدين. فقد ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–، أنه قال: "سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–يقول: بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فوضعت في يدي([1])".

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي –باب المفاتيح في اليد-جـ٩ص ٤٧-برقم٧٠١٣- دار الشعب-القاهرة-الطبعة الأولى-١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

أضف إلي ذلك : أن كلامه – صلى الله عليه وسلم- بلغ الذروة من البلاغة، ولا يرتفع فوقه في هذا السباق إلا كتاب الله –سبحانه وتعالى-، ولم يسمع الناس قط بكلام أعم نفعا ، ولا أقصر لفظا ، ولا أفصح معنى من كلامه –صلى الله عليه وسلم- ، حتى قال له علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- عندما سمعه يخاطب وفد بني فهد: يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره ، فقال: أدبني ربي فأحسن تأديبي وربيت في بني سعد([1]) "، فكان –صلى الله عليه وسلم – يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم ،كلا منهم بما يفهمون،ويحادثهم بما يعلمون،ولهذا قال: "أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم([2]) "، فكأن الله – عز وجل- قد أعلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بني أبيه ، وجمع فيه من المعارف ما تفرق ، ولم يوجد في قاصي العرب ودانيهم ، وكان أصحابه – رضي الله عنهم-، ومن يَفِدُ عليه من العرب يعرفون أكثر ما يقوله وما جهلوه سألوه عنه فيوضحه لهم ، واستمر عصره – صلى الله عليه وسلم- إلي حين وفاته على هذا السنن المستقيم([3]).

---

[1] -ذكره الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته –جـ١ص١٢٧-برقم ١٢٦٣- المكتب الإسلامي.

[2] -ورد في كشف الخفا للعجلوني برقم:٥٩٢-وفي المقاصد عزاه ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان عن أبي عباس، وقال :سنده ضعيف جدا-جـ١ص٢٢٥.

[3] -ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر – لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري – جـ١ص ٣ –ت طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي – ط المكتبة العلمية – بيروت-١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

من أجل هذا وذاك كثرت الدراسات البلاغية حول الحديث النبوي، فأرادت هذه الدراسة أن ترتشف قطرة من هذا البحر الذي اتسعت سواحله وتشعبت شواطئه وكثرت مياهه ، فجاءت هذه القطرة تحت عنوان :"دراسات جديدة في بلاغة الحديث النبوي " اختلاف الرواية وأثرها في تغيير المعنى".

ومما لا شك فيه أن اختلاف الرواية في الحديث النبوي ، باب واسع جدا ، متشعب المسالك ، واسع الدروب ، يحتاج إلي مئات الأبحاث، فأرادت هذه الدراسة أن تكون بمثابة الشمعة المضيئة لمن أراد أن يسير في هذا الطريق ، فاختارت أربعة سياقات فقط ؛ لتقيم عليها الدراسة.

وقد سارت هذه الدراسة على منهج هو كالآتي:

أولا:اختارت صحيح مسلم ؛ لإجماع علماء الأمة من السلف والخلف على صحته ، ولما يمتاز به من جمع طرق الحديث في موضع واحد بأسانيده المتعددة ، ودقته المتناهية في إثبات ألفاظ الروايات مما يؤهله لأن يكون أنسب المظان للدراسة البلاغية في النص النبوي.

ثانيا:اختارت من روايات مسلم ، روايتين فقط وسلطت عليهما الضوء ، ولم تتعرض لكل الروايات؛ لعمق وثراء الأساليب النبوية التي لا ينقطع مددها؛ فكلما قلبت وجوهها ظهرت لك معاني أخرى، مما كان يتطلب الوقوف كثيرا أمام كل رواية لتظهر المعاني البلاغية المترتبة على كل رواية ، لما في ذلك من تشتيت لذهن القارئ من كثرة الروايات ، وبخاصة

إذا علمنا أن صحيح مسلم قد يورد في بعض الأحيان أكثر من عشرة روايات للحديث الواحد ، مما كان يصعب على هذه الدراسة أن تتكشف على معاني كل هذه الروايات.

ثالثا: اختلاف الرواية شمل كلام الراوي ، وكلام رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ؛لتكمل الفائدة المرجوة من وراء هذه الدراسة.

رابعا: ذكرت المعنى العام للروايتين.

خامسا: سلطت الدراسة الضوء على كل الألوان البلاغية التي ترتبت علي اختلاف الروايتين ، ولم تقتصر على بعض الألوان دون بعض ؛ لتكتمل معاني الحديث وبلاغته عند القارئ ، بالإضافة إلي أن هذه الألوان البلاغية يكمل بعضها بعضا.

سادسا: بينت المعنى المترتب علي كل رواية من الروايتين ، وتوقفت عند اختيار الألفاظ ، وهل يمكن الجمع بين الروايتين أم لا ؟.

سابعا: اعتمدت في ترتيب السياقات على حسب وردوها في صحيح مسلم.

ثامنا: تخريج الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأبيات الشعرية ، وعزو النصوص إلي أصحابها.

تاسعا: ضبط الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية بالشكل ، من باب إتمام الفائدة لدى القارئ.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة محاور وخاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع ، وآخر للموضوعات.

فأما المقدمة: فبينت فيها أهمية الموضوع ، ومنهج البحث وخطته.

وأما التمهيد: فتضمن العناصر التالية:

١- ما المقصود بالاختلاف ؟.

٢- تعريف الرواية وشروطها.

٣- أسباب اختلاف الرواية.

وأما المحور الأول فجاء بعنوان: اختلاف الرواية في سياق بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

المحور الثاني جاء بعنوان: اختلاف الرواية في سياق بيان كون الإيمان بالله –تعالى–أفضل الأعمال.

المحور الثالث جاء بعنوان :اختلاف الرواية في سياق بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل.

المحور الرابع جاء بعنوان: اختلاف الرواية في سياق رؤية الله – سبحانه وتعالى– يوم القيامة.

وأما الخاتمة : ففيها أهم النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة.

وبعد: فهذه قطرة من بلاغته –صلى الله عليه وسلم– ، تناولت الوقوف على أثر اختلاف الرواية في توجيه المعنى ، وتغاير الأسلوب البلاغي ، إن صح استنباطي للمعاني فيها ، فهذا من توفيق الله وعونه، وإن كانت الأخرى ، فأعتذر أولا إلي سيدي وحبيبي رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، واسأل الله –ثانيا–أن لا يحرمنا شفاعته ، والورد على حوضه، والشرب من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

ويتضمن:

١-ما المقصود بالاختلاف:

٢-تعريف الرواية وشروطها:

٣-أسباب اختلاف الرواية:

١-ما المقصود بالاختلاف:

الاختلاف: افتعال مصدر اختلف، واختلف ضد اتفق، ويقال: تخالف القوم واختلفوا، إذا ذهب كل واحد منهم إلي خلاف ما ذهب إليه الآخر. ويقال: تخالف الأمران، واختلفا إذا لم يتفقا، وكل ما لم يتساو: فقد تخالف واختلف.

ومنه قولهم: اختلف الناس في كذا، والناس خلفة: أي مختلفون؛ لأن كل واحد منهم ينحي قول صاحبه، ويقيم نفسه مقام الذي نحاه ([1]). ومنه حديث النبي صلي الله عليه وسلم: "سووا صفوفكم ، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم([2])".

---

[1] - ينظر: مقاييس اللغة جـ٢ص٢١٣-والقاموس المحيط جـ٣ص١٤٣-ولسان العرب لابن منظور جـ٩ص٩١(خلف).

[2] - رواه أبو داود برقم ٦٦٤-والنسائي جـ٢ص ٨٩-وابن حبان برقم ٢١٦٠.

ومعنى الحديث: أي إذا تقدم بعضهم على بعض في الصفوف تأثرت قلوبهم ونشأ بينهم اختلاف في الألفة والمودة([1]).

والاختلاف اصطلاحا: هو ما اختلف الرواة فيه سندا أو متنا.وبذلك يكون الاختلاف علي شقين:

الشق الأول: اختلاف الرواة في السند: وهو أن يختلف الرواة في سند ما زيادة أو نقصانا، بحذف راو، أو إضافته أو تغيير اسم، أو اختلاف بوصل وإرسال أو اتصال وانقطاع أو اختلاف في الجمع والإفراد.

الشق الثاني: اختلاف الرواة في المتن: زيادة ونقصانا أو رفعا ووقفا([2]).

وقد بين لنا الإمام مسلم -رحمه الله- هذا الاختلاف ، فقال : "اعلم-أرشدك الله-أن الذي يدور به معرفة الخطأ في رواية ناقل الحديث إذا هم اختلفوا فيه من جهتين:

أحدهما: أن ينقل الناقل حديثا بإسناد فينسب رجلا مشهورا بنسب في إسناد خبره خلاف نسبته التي هي نسبته، أو يسميه باسم سوى اسمه، فيكون خطأ ذلك غير خفي علي أهل العلم حين يرد عليهم.

والجهة الأخرى: أن يروي نفر من حفاظ الناس حديثا عن مثل الزهري أو غيره من الأئمة بإسناد واحد ومتن واحد مجتمعين على روايته في الإسناد والمتن لا يختلفون فيه في معنى، فيرويه آخر سواهم عمن حدث عنه النفر الذين وصفناهم بعينه فيخالفهم في الإسناد أو يقلب المتن فيجعله بخلاف

---

[1] -ينظر:تاج العروس للزبيدي جـ٢٣ص٢٧٥ مادة "خلف"

[2] - ينظر:أثر اختلاف الأسانيد والمتون في اختلاف الفقهاء د/ماهر ياسين فحل ص ١١- الطبعة الأولي-دار عمار للنشر والتوزيع ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

ما حكي من وصفنا من الحفاظ ، فيعلم حينئذ أن الصحيح من الروايتين ما حدث الجماعة من الحفاظ دون الواحد المنفرد، وإن كان حافظا علي هذا المذهب،رأينا أهل العلم بالحديث يحكمون في الحديث مثل:شعبة ، وسفيان بن عينية، ويحيي بن سعد، وعبد الرحمن بن مهدي ،وغيرهم من أئمة أهل العلم([1])".

تعريف الرواية وشروطها:

الرواية في اللغة:تطلق علي الحمل وعلي الاعتناء،فمن الأول قولهم:روي البعير الماء يرويه:إذا حمله([2]). ومنه أخذ الرواية بمعنى:الرجل المستقي أو الدابة التي يُستقى عليها الماء ،أو الوعاء الذي يكون فيه الماء"المزادة"([3]).

ومن الثاني:"الاعتناء"قولهم:رَوَيْتُ بعيري وأرويتُهُ :إذا شددت عليه الحمل اعتناءً به،وقولهم:رويت الناعس علي البعير أي:اعتنيت به لئلا يسقط([4]).

والرواية في اصطلاح المحدثين هي:حمل الحديث سندا ومتنا، والعناية به بمعرفة وأمانة([5]).

---

[1] - التمييز لمسلم بن الحجاج ص ١٢٤-١٢٦-ت د/محمد مصطفى الأعظمي -مطبوعات جامعة الرياض.

[2] - ينظر:المصباح المنير- مادة"روي"

[3] - ينظر:تهذيب اللغة للأزهري جـ١٥ ص٣١٤ - والقاموس المحيط مادة"روي".

[4] - ينظر:أساس البلاغة للزمخشري- والقاموس المحيط-مادة "روي".

[5] - ينظر:الوسيط في علوم ومصطلح الحديث للأستاذ الدكتور/محمد بن محمد أبو شهبة- ص ١٣٩-عالم المعرفة جدة-ولمحات في أصول الحديث د/محمد أديب صالح ٧٣-ط الثانية-المكتب الإسلامي بيروت.

شروط الرواية:

هناك شروط ترجع إلي الراوي ،وشروط ترجع إلي المرويِّ:

فشروط الراوي لخصها ابن الصلاح –رحمه الله– في كتابه علوم الحديث ،فقال: "أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه علي أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلا ،ضابطا لما يرويه ،وتفصيله :أن يكون مسلما بالغا ،عاقلا سالما من أسباب الفسق،وخوارم المرؤة،متيقظا غير مغفل ،حافظا إن حدث من حفظه،ضابطا لكتابه إن حدّث من كتابه،وإن كان يحدث بالمعني اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالما بما يحيل المعاني([1])".

وشروط المرويِّ هي:

أن تكون بإحدى طرق التحمل المعتبرة عند أئمة النقل وهي:السماع والقراءة والعرض والإجازة والمناولة والمكاتبة والإعلام والوصية والوجادة([2]).

أسباب اختلاف الرواية:

١–زيادات الثقات في المتون،وهي أن يروي أحد الثقات زيادة لفظة أو جملة في متن الحديث لا يرويها غيره،ولا يكون في روايته مخالفة لما رواه غيره([3]).

---

[1] -علوم الحديث لابن الصلاح ص ٩٤- ت نور الدين عنتر-طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة-١٣٨٦هـ١٩٩٦م- وينظر أيضا دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصر لمحمد أبي شهبة ص ٢٨ وما بعدها-الطبعة الأولي-الدار السلفية لنشر العلم-القاهرة-١٤٠٩هـ١٩٨٩م.

[2] - ينظر:تدريب الراوي للسيوطي جـ٢ص ٤- ت عبدالوهاب عبد اللطيف- الطبعة الثانية – المكتبة العلمية بالمدينة المنورة-١٣٩٢هـ١٩٧٢م.

[3] - ينظر:منهج النقد في علوم الحديث د/نور الدين عز ص ٤٢٥-ط دار الفكر-دمشق ١٩٨١م.

٢-الرواية بالمعنى: وهي مقبولة عند جماهير المحدثين وإن منع منها بعضهم([1]).

٣-تعدد المجلس،أو إدراك الصحابي جزءا من المجلس يسمع فيه بعض الحديث فيقتصر علي رواية ما سمع ،وقد سمعه غيره بأتم منه فيقع الاختلاف ،من ذلك ما أخرجه أبو داود عن سعيد بن جبير أنه قال: قلت لابن عباس: يا أبا العباس عجبت لاختلاف أصحاب رسول الله- صلي الله عليه وسلم- حين أوجب([2]) ،فقال: إني لأعلم الناس بذلك إنها كانت من رسول الله صلي الله عليه وسلم حجة واحدة فمن هناك اختلفوا،خرج رسول الله- صلي الله عليه وسلم- حاجا فلما صلى في مسجد ذي الحليفة ركعة، أوجب في مجلسه وأهل بالحج حين فرغ من ركعته ،فسمع ذلك منه أقوام فحفظته، ثم ركب فلما استقلت به ناقته أهلّ وأدرك ذلك منه أقوام ،وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون إرسالا فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل،ثم مضي رسول الله -صلي الله عليه وسلم- فلما علا علي شرف البيداء أهل وأدرك ذلك منه أقوام فقالوا: إنما أهل حتى علا علي شرف البيداء([3]).

---

[1] - ينظر:تدريب الراوي للسيوطي جـ٢ص ٤٠ - ت عبدالوهاب عبد اللطيف- الطبعة الثانية – المكتبة العلمية بالمدينة المنورة-١٣٩٢هـ١٩٧٢م.

[2] - أوجب:أي أهل وأتى من أفعال الإحرام.

[3] - ينظر: قواعد التحديث للقاسمي ص٣٢٧- ط دار الكتب العلمية-الطبعة الأولي-١٩٧٩م.

٤- اعتماد الرواة في نقل الحديث علي المشافهة،والرواية الشفوية من أهم الطرق التي تم بواسطتها نقل الحديث عن رسول الله- صلي الله عليه وسلم- ،مما كان سببا في اختلاف الرواية([1]).

المحور الأول: اختلاف الرواية في سياق بيان الإيمان والإسلام والإحسان:

الرواية الأولى: رواية عمر بن الخطاب: " حَدَّثَنِى أَبِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم- فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ

---

[1] -ينظر:التوجيهات النحوية في ضوء اختلاف الرواية في الحديث النبوي أد /محمد أحمد علي سحلول- ص ٤٥٢- بحث منشور في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة- العدد السادس عشر-١٤١٨هـ١٩٩٨م.

رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَــالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِــهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَــرِّهِ ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَــرَاكَ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَــا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِى الْبُنْيَانِ ». قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْــتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِى « يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ ». قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ [1]".

---

[1] - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان-باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان-جـ١-ص٤٥-٤٦رقم ٨.

الرواية الثانية: روايـة أبـي هريـرة :" عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمًـا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ مَـا الإِيمَانُ قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِـهِ وَكِتَابِـهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ ». قَـالَ يَـا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِسْلاَمُ قَالَ « الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّىَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ ». قَـالَ يَـا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِحْسَانُ قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لاَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ يَا رَسُـولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِـأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَـنْ أَشْـرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَـتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِـنْ أَشْـرَاطِهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِى الْبُنْيَانِ فَـذَاكَ مِـنْ

أَشْرَاطِهَا فِى خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ ». ثُمَّ تَلاَ -صلى الله عليه وسلم- (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ». قَالَ ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « رُدُّوا عَلَىَّ الرَّجُلَ ». فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ [١] ".

هذا الحديث الشريف بروايتيه يبين لنا دعائم الإسلام والإيمان والإحسان، ويعرج بنا علي أمارات الساعة، وهو من الأحاديث الجامعة، حتى قال عنه ابن رجب الحنبلي: "هو حديث عظيم الشأن جدا يشتمل على شرح الدين كله، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم -في آخره: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم[٢] ".

من اختلاف الروايتين ودقائقهما البلاغية:

---

[١] - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان-باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان-جـ١ص٤٧رقم٩.
[٢] - جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٢٥-دار المنار ط ١٩٩٢م.

١-الرواية الأولي: بدأت بالظرف الزماني"بينما نحن عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم-"،مما يفيد أن لقاءهم عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم- كان من غير موعد سابق،وغير مرتب له،بالإضافة إلي أن هذا الظرف"بينما" يصور لنا الحدث والحوار أمام أعيننا وكأنه واقع الآن، ويضعنا في قلب الحدث مباشرة، فكل مسلم يقرأ الحديث يستشعر أنه مع معلمه العظيم وفي حضرة الصحابة الكرام مما يجعلنا نتفاعل مع أحداثه ولقاطته .كما أوجد الحوار الذي دار بين الرسول –صلى الله عليه وسلم-، وأمين الوحي ، حالةً من التوقد الذهني والاستعداد النفسي ، وبخاصة أن الحوار جاء في صورة السؤال والجواب ، وهذا من شأنه جذب انتباه الصحابة واستنفار ملكاتهم الذهنية ؛ لمتابعة الحوار، وهذا من أفضل طرق التعليم.

أما الرواية الثانية: بدأت بجملة خبرية متمثلة في الفعل الماضي: "كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يوما"،مما يدل علي تحقق الوقوع،وأن هذا الأمر قد حدث في الزمن الماضي،لأن أحد الأزمنة الثلاثة جزء مفهوم الفعل،فهو يدل علي الزمن المراد بصيغته([1]).ولعل الغرض من هذه الجملة الخبرية : أن هذا اللقاء كان بعد صلاة مكتوبة ، فقد كان –صلى الله عليه وسلم-، ينتهز فرصة اجتماع المسلمين عند الصلاة ؛ليعلمهم أمور دينهم ، ويخبرهم بأخبار الوحي.

[1] - ينظر: المطول ص ١٥٠- ط دار الكتب العلمية-الطبعة الأولي.

ويمكن الجمع بين الروايتين،بأن الرواية الأولي تفيد أن هذا الحوار ألقي على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أول مرة والصحابة حينئذ حاضرون معه،فناسب أن يعبر عن ذلك بقوله:"بينما نحن..."،والرواية الثانية تفيد أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- حكى هذا الحوار الذي حدث معه مرة ثانية علي قوم آخرين،فناسب أن يعبر عن ذلك بقوله:"كان رسول الله...."

٢-وعند ظهور سيدنا جبريل عليهم ،الرواية الأولي عبرت بقولها:"إذ طلع علينا رجل"،مما يدل على المفاجأة وعدم التوقع ؛ لانشغالهم بأمور العبادة من صلاة واستغفار وغير ذلك. ، كما أن هذا التعبير فيه إيحاء بمكانة جبريل العالية وسمو منزلته ، كما أن الصورة الجميلة التي ظهر عليها من شدة بياض الثياب ، وشدة سواد الشعر أدعى أن يصدق الصحابة أنه أمين الوحي ، ويؤكد ذلك قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-:"لا يرى عليه أثر السفر".هذا بالإضافة إلي أن هذه الرواية"إذ طلع"،تفيد أنه ظهر عليهم ولم يظهر لهم،وكأنه برز متمكنا مستعليا،وكأنه اختار هذه الحالة الغريبة والهيئة العجيبة؛ليثير اهتمام ويقظة من حول الرسول- صلى الله عليه وسلم-،ليكونوا أكثر وعيا لما يقال([1]). وفي ذلك زيادة تعمية علي الحاضرين،مما يمكن أن يظن معه أنه غريب قادم من مكان آخر.

---

[1] - ينظر:شرح أحاديث من صحيح البخاري ص٢١٧.

أما الرواية الثانية: عبرت بقولها: "فأتاه رجل"، مما يفيد أنه أتي من الطريق المعهود ولم يفاجئهم بظهوره، ومما يعضد ذلك مطلع الرواية"كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم -يوما بارزا للناس"، فهذا يوحي بأن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان يجلس في مكان عال وواضح للناس، فناسبه التعبير بقوله: "فأتاه رجل"، وكأنه- صلى الله عليه وسلم -كان يترقب ظهور رجل عليهم، بخلاف الرواية الأولي التي أوحت بأن هذا الرجل ظهر لهم فجأة وساعد علي ذلك مطلعها"بينما نحن عند رسول الله- صلى الله عليه وسلم"، وهذا من دقة البلاغة النبوية.

وتنكير"رجل" في الروايتين؛لزيادة المبالغة في تعمية أمره علي الحاضرين، ولأنه لا يتعلق بتعريفه غرض من الأغراض .كما أن النكرة هنا: تفيد التعظيم ؛ لأنه ليس أي رجل ، وإنما هو جبريل أمين الوحي.

وقد أورد ابن حجر تعليلا طريفا لاختلاف الروايتين، فقال: "قوله :كان النبي صلي الله عليه وسلم يوما بارزا للناس"، أي ظاهرا لهم غير محتجب عنهم، ولا ملتبس بغيره، والبروز: الظهور؛ لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -كان في بعض الأحيان يجلس بين أصحابه فيجئ الغريب فلا يدري أيهم هو، فطلب منه الصحابة أن يجعلوا له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنوا له دكانا من طين كان

يجلس عليه"([1])،وكآن الرواية الأولى تشير إلي جلسته قبل بناء الدكان،والرواية الثانية تشير إلي جلسته بعد البناء.

٣-وعند الحديث عن أركان الإسلام:الرواية الأولى:جاء فيها الحديث عن أركان الإسلام مقدما:"وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام،فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله،وتقيم الصلاة،وتؤتي الزكاة،وتصوم رمضان،وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا".

والرواية الثانية جاء الحديث فيها عن أركان الإيمان مقدما ،وأخر الحديث فيها عن أركان الإسلام:"فأتاه رجل فقال يا رسول الله ما الإيمان؟قال:أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر".

ولعل الرواية الأولى بدأت بالحديث عن أركان الإسلام؛لأنه -أي الإسلام-بالأمر الظاهر،ثم عن الإيمان لأنه بالأمر الباطن ،ثم عن الإحسان،ورجح بعض العلماء هذا لما فيه من الترقي.([2])

ولعل تقديم الحديث عن الإيمان في الرواية الثانية؛لأنه-أي الإيمان-الأصل،وثني بالإسلام؛لأنه يظهر مصداق الدعوي، وثلث بالإحسان لأنه متعلق بهما.أو لعلها رويت بعد فترة زمنية طويلة كان التوحيد فيها قد وقر في القلب ، فناسب البدء بالإيمان.

---

[1] - فتح الباري جـ١ص١٤٢.
[2] - ينظر:فتح الباري جـ١ص ١٤٧-وعمدة القارئ جـ١ص ٢٩٢.

أو لعل التقديم والتأخير وقع من الرواة،لأنه ما من شك بأن القصة واحدة،ولذلك نجد رواية مطر الوراق بدأ بالإسلام وثني بالإحسان وثلث بالإيمان ،فالحق أن الواقع أمر واحد، والتقديم والتأخير وقع من الرواة([1]).

ويمكن الجمع بين الروايتين بأن :"الإيمان والإسلام عبارة عن معني واحد ،فلما كان ظاهر سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام وجوابه يقتضي تغايرهما،وأن الإيمان تصديق بأمور مخصوصة والإسلام إظهار أعمال مخصوصة ،أراد أن يرد ذلك بالتأويل إلي طريقته([2])".

٤-وعند خطاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الرواية الأولى نادته باسمه:"يا محمد"،مجردا من الرسالة،والرواية الثانية نادته برسالته:"يا رسول الله".

الرواية الأولى نادته باسمه مجردا من الرسالة مع أن الله-سبحانه وتعالي-يقول:" **لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا** [3]"،زيادة في التغريب عند افتتاح الخطاب بالمسألة،فضلا عن أن الملائكة ليسوا داخلين في مثل ذلك الخطاب([4]).

أو لعل الرواية الأولى قيلت بنفس ترتيب أمين الوحي عن رب العزة -تبارك وتعالى-دون تقديم أو تأخير ، أو تغيير في بعض

---

[1] - ينظر:فتح الباري جـ١ص ١٤٣.
[2] - فتح الباري جـ١ص ١٤٠.
[3] - من الآية ٦٣من سورة النور.
[4] - ينظر:دليل الفالحين جـ١ ص١٨٥.

الكلمات ؛لذلك ناسب هذه الرواية نداء الرسول بـ "يا محمد"،لأن النداء صادر من الأعلى وهو الله-سبحانه وتعالى-وهذا فيه تعظيم وتكريم للرسول، أن يناديه الله بالاسم"محمد"،ونلاحظ هذا النداء الرقيق باستخدام أداة النداء"يا"،وهي للبعيد على الرغم من أن الرسول-صلى الله عليه وسلم-كانت ركبتاه متلاصقتين مع ركبتي أمين الوحي، وهذا يدل على حب الله للرسول وعلو شأنه فناداه بهذه الأداة، وبداية الرواية الأولى بالسؤال عن الإسلام منطقيا أن يبدأ بأعظم أركان الإسلام ، وهو توحيد الله -سبحانه وتعالى-، وما يأتي بعد ذلك يكون مترتبا عليه من الإيمان والإحسان.

ولعل الرواية الثانية نادته برسالته؛لأنها لم يكن فيها تعمية وتغطية علي الحاضرين كالرواية الأولي،كما أوضحنا سابقا من خلال مطلعها.

أو لعلها تشير إلي فضل رسول الله- صلى الله عليه وسلم - وكرامته،حتى أن الملائكة عندما ينادونه،لا بد من المناداة برسالته،وفي ذلك إيماء وإشارة لنا نحن إلي احترام رسولنا -صلى الله عليه وسلم -وتكريمه،فلا ينبغي لنا أن نذكره باسمه.أو لعلها عبارة أبي هريرة ؛ تأدبا مع الرسول ، وامتثالا للآية الكريمة.

٥-كذلك من اختلاف الروايتين :أن الرواية الأولى جاءت بالفعل الأمر"أخبرني عن الإسلام"،الذي خرج عن معناه الحقيقي إلي معنى بلاغي وهو تعليم السامعين وإرشادهم إلي أمور دينهم في أسلوب عال

وذوق بليغ بعيدا عن إحراج السامعين والمساس بمشاعرهم ، وهذا فيه ما فيه من الجذب والانتباه.

أما الرواية الثانية: جاءت بالاستفهام"ما الإيمان"،الذي خرج من معناه الحقيقي إلي معنى بلاغي وهو التعليم أيضا،وبذلك يكونا الروايتين قد اختلفتا في الأسلوب،واتفقتا في الغرض من وراء هذا الأسلوب.

أضف إلي ذلك: أن الرواية الأولى فيها زيادة وضوح"أخبرني عن الإسلام"،أي قل لي كل شئ عن الإسلام وما يتعلق به،ولا تترك شيئا من دعائمه،ولذلك نجدها قد ذكرت أركان الإسلام الخمسة،بخلاف الرواية الثانية التي تركت التصريح بالركن الخامس،وهو حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا،أما اعتمادا علي ذكره في الرواية الأولى،أو لأن "ما" يسئل بها عن أحد شيئين:

أولا: شرح الاسم ،أي شرح مفهومه،وأنه لأي معنى وضع، فيجاب بإيراد لفظ أشهر،ولو كان أعم لأنه مبين في الجملة.

ثانيا: يطلب بها شرح ماهية المسمى،وأراد بالماهية الحقيقة الوجودية،وهي التي بها أفراد الشيء تحققت بحيث لا يزاد في الخارج عليها إلا العوارض،كآن يقال: ما الإنسان؟،فيقال: الحيوان الناطق([1]).

---

[1] - ينظر:مواهب الفتاح جـ٢ص٢٧٤،٢٧٣.

من خلال ذلك يتبين لنا أن "ما"،عندما يستفهم بها عن شيء لا يستلزم أن تأتي بجميع ما يخصه،ويدخل تحت مضمونه، ولذلك لم تصرح الرواية الثانية بالركن الخامس.

أو لعل تركه دلَّ عليه قوله- صلى الله عليه وسلم- في نفس الرواية : "أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا"،فالعبادة تشمل كل شيء من صلاة وزكاة وحج وغير ذلك،ويكون التصريح بالصلاة والزكاة والصوم من ذكر الخاص بعد العام.

وأورد الكرماني تعليلا لترك التصريح بالحج في الرواية الثانية، فقال: "وترك الحج ،إما لأنه لم يكن فرضا حينئذ،وإما أن بعض الرواة شك فيه فأسقطه([1])".

٦-كذلك من اختلاف الروايتين:أن الرواية الأولي عندما سئل فيها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن الإسلام،قال: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله،وأن محمدا رسول الله"، أما الرواية الثانية فعبر فيها بقوله:"الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا".

ولعل الرواية الأولى:"أن تشهد..."،تشير إلي أن الأصل في العبادة التي يبتغي صاحبها الأجر،النطق بلا إله إلا الله وأن محمدا رسول،وكأنها كانت بمثابة التمهيد للرواية الثانية،لأن أي عبادة أو عمل صالح يتوقف علي النطق بالشهادتين،وإلا فصاحبه يوفى أجره في الدنيا ولا شئ له في الأخرة.

---

[1] - الكرماني بشرح صحيح البخاري جـ١ص١٩٥.

أما الرواية الثانية: "أن تعبد...."، فلعلها توحي بأن لا إلـه إلا الله تتطلب عبادة الله وحده لا شريك له، ولا يقتصر على النطق بها، وذلك مصداقا لقوله- صلى الله عليه وسلم- في حديث آخر: "من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة ([1])". وعندما تعرض العلماء لشرح الحديث ، قالوا: إن إخلاص لا إلـه إلا الله ، يتطلب من الإنسان أن تحجزه عن محارم الله.

أو لعل الرواية الثانية: "أن تعبد"، تشير إلي أن المراد بالعبادة الطاعة مطلقا، فيدخل فيه جميع الوظائف ، وعلى هذا يكون عطف الصلاة وغيرها من عطف الخاص علي العام.

أما الرواية الأولى: "أن تشهد"، فتدل على أن المراد بالعبادة النطق بالشهادتين، ولذلك لما عبر بالعبادة في الرواية الثانية احتاجت إلي توضيحها بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "ولا تشرك به شيئا"، ولم يحتج إليها في الرواية الأولى لاستلزامها ذلك([2]).

٧-كذلك من اختلاف الروايتين: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -، لما أراد أن يبين الركن الثاني من أركان الإسلام، قال في الرواية الأولى: "وتقيم الصلاة"، وقال في الرواية الثانية: "وتقيم الصلاة المكتوبة"، حيث زادت "المكتوبة"، ولعلها من قبيل التفنن في العبارة

---

[1] - أخرجه أبو يعلى في مسنده -جـ٦ص١٠.
[2] - ينظر: فتح الباري جـ١ص ١٤٥-١٤٦.

ومن منطلق قول الله تعالي: " **إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا** "[١][٢].

أو لعل الرواية الثانية التي صرحت بالمكتوبة احترازا من النافلة،فإنها وإن كانت من وظائف الإسلام لكنها ليست من أركانه،فتحمل المطلقة في الرواية الأولى علي المقيدة في الرواية الثانية جمعا بينهما[٣].

أو لعل التصريح بالمكتوبة كان خطابا للداخلين في الإسلام في بداية عهدهم من باب التخفيف عليهم،حتى إذا تمكن الإسلام في قلوبهم وذاقوا حلاوته طالبوا فيما بعد بالنوافل.

أو لعل تقييد الصلاة بالمكتوبة؛ لأنه قد جاء وصفها بالمكتوبة في أحاديث أخرى كقوله- صلى الله عليه وسلم-:

"إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة ،وأفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل،وخمس صلوات كتبهن الله[٤][٥]".

أو لعل رسول الله —صلى الله عليه وسلم- في الرواية الأولى ،أراد أن يبين لنا عظم فرض الصلاة ، ولذلك أتى باللفظ مطلقا ؛حتى يجتهد الإنسان في النوافل ، أما في الرواية الثانية أراد أن يخبرهم أن أقلها

---

[١] - من الآية ١٠٣من سورة النساء.
[٢] - ينظر:فتح الباري جـ١ص١٤٦.
[٣] - ينظر:الكرماني بشرح صحيح البخاري جـ١ص ١٩٥.
[٤] - ورد في صحيح مسلم بشرح النووي جـ٥ص٢٢٩ برقم ٧١٠.-وورد في سنن أبي داود جـ١ص٤٨٩.
[٥] - ينظر:صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ص ١٩٦.

الصلاة المكتوبة"الفرض"،ولا يجوز التهاون فيها ، أما الرواية الثانية فتشمل الفرض والنافلة ، وإذا كان الإنسان مؤديا للنافلة، فمن باب أولى يكون محافظا على الفريضة. أو أن الرواية التي تركت التصريح بالمكتوبة،كان من باب الرواية بالمعنى،حيث سقطت سهوا من الراوي.

٨-كذلك من اختلاف الروايتين: أن رسول -الله صلى الله عليه وسلم- لما أراد أن يبين الركن الثالث من أركان الإسلام،قال في الرواية الأولى: "وتؤتي الزكاة"،وقال في الرواية الثانية: "وتؤدي الزكاة المفروضة".

فالرواية الأولى جاء فيها التعبير بالفعل: "وتؤتي"،الذي يعبر عن أقوياء الإيمان الذين لا يبخلون بإخراج زكاة أموالهم؛ لأن دنياهم في أيديهم وليس في قلوبهم،فيخرجون زكاة أموالهم بنفوس راضية،كل ذلك صوره الفعل"تؤتي".

أما الفعل: "وتؤدي"،الذي ورد في الرواية الثانية فتشعر فيه ثقلا علي اللسان،حيث إنه أثقل في النطق علي اللسان من الفعل "تؤتي"،وليس ثقلا يخرج الكلمة من فصاحتها وبلاغتها،وإنما ثقلا يصور الحدث أدق تصوير،حيث إنه يصور المتمسكين بدنياهم التي تربعت علي قلوبهم،وجعلتهم يبخلون بإخراج زكاة أموالهم،وإن أخرجوها فيكون ذلك بعد مشقة وجهاد كبير لنفوسهم التي جبلت علي حب المال وكنزه ،كل ذلك صوره الفعل"وتؤدي".

أو لعل الفعل"تؤتي"،يشير إلي أن صاحب المال يعطي زكاة ماله بنفسه لمستحقيه،وهذا فيه ما فيه من إخلاص النية وابتغاء رضوان الله-سبحانه وتعالي-.

أما الفعل"وتؤدي"،يشير إلي أن صاحب المال يدفعه للحاكم ،أو لمن يقوم بجمعه،ثم يتولون هم صرفه علي مستحقيه.

أضف إلي ذلك :أن الرواية الثانية نصت علي الزكاة المفروضة،ولعل ذلك يشير إلي المتمسكين بدنياهم الذين يخرجون زكاة أموالهم بعد عناء طويل،فليس عندهم إيمان يؤهلهم للتصدق في سبيل الله،غير زكاة أموالهم المفروضة. أو لعلها كانت خطابا لمن دخل في الإسلام جديدا.

أو أن تقييد الزكاة بالمفروضة وهي المقدرة،كان احترازا من الزكاة المعجلة قبل الحول،فإنها زكاة وليست مفروضة، وقيل:إنما فرق بين الصلاة والزكاة في التقييد ؛لكراهية تكرير اللفظ الواحد،ويحتمل أن يكون تقييد الزكاة بالمفروضة للاحتراز عن صدقة التطوع،فإنها زكاة ولكنها غير مفروضة([1]).

٩-كذلك من اختلاف الروايتين:أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-عندما كان يتحدث عن الإيمان ،قال في الرواية الأولى :"أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه"،حيث أورد لفظ الكتب جمعا ،أما في الرواية الثانية،جاء التعبير فيها بالإفراد:"أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه".

---

[1] - ينظر:صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ص ١٩٦-١٩٧.

فالرواية الأولى التي جاءت بالجمع، تشير إلي أن الإيمان لا بد أن يكون بجميع الكتب المنزلة من عند الله –سبحانه وتعالي– علي أنبيائه، وهي القرآن والتوراة والإنجيل والزبور.

أما الرواية الثانية التي جاءت بالإفراد"وكتابه"، المقصود به القرآن الكريم، تشير إلي أن القرآن الكريم شامل لجميع الكتب السابقة، أو أن جميع الكتب السابقة كانت تمهيدا وتبشيرا بالقرآن الكريم.

١٠–كذلك من اختلاف الروايتين: أن الرسول– صلى الله عليه وسلم– لما تعرض للإيمان باليوم الآخر، ذكره في الرواية الأولى بقوله: "واليوم الآخر"، وفي الرواية الثانية، عبر عنه بقوله: "وتؤمن بالبعث الآخر".

حيث نلاحظ أن الفعل"وتؤمن"، أعيد مرة ثانية في الرواية الثانية"وتؤمن بالبعث الآخر"، ولعل إعادته من باب التأكيد لهؤلاء الذين ينكرون البعث، ويقولون: " **مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ** (١)"، فإعادة الفعل "وتؤمن"؛ ليناسب التعبير بالبعث، لأنه من الأمور التي أنكرها الكفار، ولم يكرر الفعل في الرواية الأولى، لأنها عبرت بقولها: "اليوم الآخر"، واليوم الآخر يشمل أحداثا كثيرة، منها علي سبيل المثال لا الحصر"الموت"، وهم يعترفون به، ولكن الذي ينكرونه هو البعث.

---

١ - من الآية ٢٤من سورة الجاثية.

أو لعل تكرار الفعل: "وتؤمن"، في الرواية الثانية يشير إلى: "أنه نوع آخر من المؤمن به؛ لأن البعث سيوجد فيما بعد، وأخواته موجودة الآن، والمراد من البعث بعث الموتى من القبور وما يترتب عليه من الحساب والصراط والجنة والنار وغيره([1])".

أضف إلي ذلك: أن الرواية الأولى عبر فيها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بقوله: "واليوم الآخر"، وفي ذلك دلالة علي العموم أكثر من الرواية الثانية "وتؤمن بالبعث الآخر"؛ لأن الرواية الأولى تشمل جميع أحداث اليوم الآخر من قبر وبعث وصراط وميزان وحساب وجنة ونار وغير ذلك، بخلاف الرواية الثانية التي جاءت مخصصة البعث فقط، لأنه من القضايا التي شغلت أذهان الكفار والملحدين كثيرا، ولذلك ورد ذكره في مواضع عديدة في القرآن الكريم؛ ليكون زجرا وردا لهؤلاء الذين أنكروا البعث.

من خلال ذلك يتضح لنا السر في تخصيص البعث فقط، فإذا كنا مطالبين بالإيمان بالبعث الذي لعله من أشد قضايا اليوم الآخر، فمن باب أولي نؤمن بباقي الأحداث التي تدور في اليوم الآخر.

أضف إلي ذلك: أن قوله- صلى الله عليه وسلم -في الرواية الثانية: "وتؤمن بالبعث الآخر"، جاء بالإفراد ليناسب قوله من قبله: "وكتابه"، أو لعل البعث يشمل جميع أحداث يوم القيامة.

---

[1] - البخاري بشرح الكرماني جـ١ص١٩٤-١٩٥- دار إحياء التراث العربي-بيروت-الطبعة الثانية-١٤٠١هـ١٩٨١م.

وقيل: إن المراد بالبعث القيام من القبور، والمراد باللقاء ما بعد ذلك، ولذلك نجد الرواية الثانية التي عبرت بالبعث، أتت بلفظ "ولقائه"، لتشمل باقي أمور الآخرة([1]).

فضلا عن أن تقييد البعث بالآخر في الرواية الثانية ؛للمبالغة في البيان والإيضاح، وذلك لشدة الاهتمام به، وقيل: سببه أن خروج الإنسان إلي الدنيا بعث من الأرحام ،وخروجه من القبر للحشر بعث من الأرض، فقيد البعث بالآخر ليتميز([2]).

١١-كذلك من اختلاف الروايتين: أن الرسول -صلى الله عليه وسلم -عندما سئل عن الإحسان أجاب في الرواية الأولى بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، وفي الرواية الثانية عبر بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراك".

كلتا الروايتين توضحان أن المعنى المراد :اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان، وهذا ما أشار إليه علماء الحديث ، بقولهم: أن تعبد الله عبادة من يري الله -تعالي-،ويراه الله -تعالى- ،فإنه لا يستبقي شيئا من الخضوع والإخلاص وحفظ القلب والجوارح، ومراعاة الآداب ما دام في عبادته ،وقوله: "فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، يعني أنك إنما تراعي الأدب إذا رأيته ورآك؛لكونه يراك

---

[1] - ينظر: فتح الباري جـ١ص١٤٤.
[2] - ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ص١٩٦.

لا لكونك تراه،وهذا المعني موجود وإن لم تره؛لأنه يراك،وحاصله الحث علي كمال الإخلاص في العبادة ونهاية المراقبة فيها([1]).

ولكن من الفروق التي تلاحظ في الروايتين:أن الرواية الأولي استخدمت حرف الجزم"لم"، والرواية الثانية استخدمت "لا"،النافية،واستخدمت "إن"،التي تستعمل للتقليل،ولعل ذلك يشير إلي أن رؤية هؤلاء ببصيرتهم لربهم عند عبادتهم قليلون،بالنسبة لغيرهم من الخلق.

١٢-كذلك من اختلاف الروايتين:أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم -عندما سئل عن الساعة قال في الرواية الأولى: "فأخبرني عن الساعة"،وفي الرواية الثانية قال:"متى الساعة"،أي متى تقوم الساعة،فاستخدمت أداة الاستفهام "متى"،أي ما هي شروط قيام الساعة؟،ولذلك ذكرت ثلاث علامات لقيام الساعة .أو أن قوله:"فأخبرني عن الساعة"، عبارة تشمل السؤال عن ميعادها وآماراتها، أما قوله في الرواية الثانية:"متى الساعة"،لعل رسول الله- صلى الله عليه وسلم-كان يقصد من وراء هذا السؤال أن يخبره بميعاد قيامها، ويعضد هذا إنه عندما نفى أمين الوحي عن نفسه معرفة موعدها، حدثه عن أشراطها.

---

[1] - ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ص ١٩٣- والبخاري بشرح الكرماني جـ١ص١٩٦.- وعمدة القارئ جـ١ص ٢٨٩.

أما الرواية الأولى فاستخدمت حرف الجر"عن"،الذي يستعمل للتبعيض،أي قل لي شيئا عن الساعة، ولذلك ذكرت علامتين فقط من علامات الساعة.

وعند الحديث عن علامات الساعة،عبر الرسول- صلى الله عليه وسلم -في الرواية الأولى بقوله:"فأخبرني عن أمارتها" ،وفي الرواية الثانية ،عبر بقوله:"ولكن سأحدثك عن أشراطها "،الرواية الأولى جاءت في جملة إنشائية متمثلة في فعل الأمر"أخبرني"،الذي يقصد منه تعليم السامعين أمور دينهم.أما الرواية الثانية جاءت في جملة خبرية متمثلة في الفعل المضارع المقترن بالسين التي تستخدم للمستقبل القريب "سأحدثك"،والفعل المضارع يفيد التجدد والحدوث ويصور لنا الحوار وكأنه واقع أمام أعيننا الآن.

والمراد بأشراطها:أي علاماتها،والمراد بأشراطها السابقة،لا أشراطها المقارنة لها كطلوع الشمس من مغربها،وخروج الدابة ونحوهما.

فضلا عن أن السين في الرواية الثانية ،لتأكيد الوعد بالإخبار ،ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة،وإن تأخر إلي حين قوله:"إذا ولدت ..."([1]).

وعند الحديث عن أول علامة من علامات الساعة،عبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الرواية الأولى،بقوله:"أن تلد الأمة

---

[1] - ينظر:عمدة القارئ جـ١ص٢٨٧.

ربتها"،بالتأنيث:أي سيدتها ومالكتها،وفي الرواية الثانية عبر بلفظ التذكير:"إذا ولدت الأمة ربها"،أي:مالكها وسيدها.ولعل اختلاف الروايتين للعموم،ليشمل الذكر والأنثى.

والمقصود بأن تلد الأمة ربتها أقوال كثيرة:ولعل أرجحها أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام،فأطلق عليها ربها مجازا لذلك،أو المراد بالرب المربي فيكون حقيقة،والذي يرجح هذا القول أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة ،ومحصله الإشارة إلي أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المربي مربيا والسافل عاليا([1]).

وجمع الإمام النووي بين الروايتين ،فقال:"ربتها"،بالتأنيث، و"ربها"،علي التذكير،ومعني ربها وربتها:سيدها ومالكها وسيدتها ومالكتها،والمعني هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن،فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها؛لأن مال الإنسان صائر إلي ولده.وهناك أقوال أخرى ذكرها العلماء ، ولكن لعل الذي ذكرناه أصحها،لأنه إذا أمكن حمل الروايتين في القضية الواحدة علي معنى واحد كان أولى([2]).

---

[1] - ينظر:توضيح هذه الآراء في صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ص ١٩٣-١٩٤ - وفتح الباري جـ١ص ١٤٩.

[2] - ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ص١٩٤.

أو لعل رواية الرواية الأولى التي ذكرت "ربتها"،كانت تنظر للحديث الذي يقول فيه رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "ولا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي ومولاي([1])".

والرواية الثانية: "ربها"،مع أنه قيل لا يجوز إطلاق الرب علي غير الله -تعالى-،وهذا النهي من باب التشديد والمبالغة ،أو الرسول - صلى الله عليه وسلم -مخصوص منه([2]).

وقيل: إن الممنوع إطلاق الرب على غير الله -تعالى- بدون الإضافة،وإما بالإضافة فلا يمنع،يقال: رب الدار ورب الناقة([3]).

أضف إلي ذلك: أن الرواية الأولى عبرت بـ"أن"،أن تلد الأمة ربتها،والرواية الثانية عبرت بـ"إذا"،التي تستخدم في الشيء المحقق،ولذلك يقول الكرماني: "لما كان الشرط محقق الوقوع جاء بلفظ "إذا"،التي تدل علي الجزم بوقوع مدخولها ،ولهذا يصح أن يقال: إذا قامت القيامة كان كذا،ولا يصح أن يقال: إن قامت كان كذا،بل يكفر قائله؛لأنه مشعر بالشك فيه([4])".

فضلا عن أن الرواية الأولى استخدمت الفعل المضارع "تلد" ،الذي يفيد التجدد والحدوث،ويصور الحدث وكأنه حاضر أمام أعيننا الآن.

---

[1] - ورد الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي في الأدب المفرد-جـ٧ص٤٦.- وورد الحديث في مسند الإمام أحمد برقم١٩٢٦٧.
[2] - ينظر:البخاري بشرح الكرماني جـ١ص١٩٨.
[3] - ينظر:عمدة القارئ جـ١ص٢٩٣.
[4] - البخاري بشرح الكرماني جـ١ص١٩٧.

أما الرواية الثانية استخدمت الفعل الماضي "ولدت"،الذي يفيد تحقق الوقوع،وهذا من منطلق قول الله-تعالى-:"**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ** (١)".

١٣-وعند الحديث عن العلامة الثانية عبر الرسول- صلى الله عليه وسلم - في الرواية الأولى،بقوله:"وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"،أي يتغير الحال ويستولي أهل البادية علي الأمور،ويتملكوا البلاد بالقهر فتكثر أموالهم ،وتتصرف هممهم إلي تشيد البنيان والتفاخر به.

وفي الرواية الثانية عبر بقوله:"إذا تطاول رعاء البهم في البنيان"،والبهم:هي الإبل السوداء،وقيل:إنها شر الألوان عندهم ،ووصف الرعاة بالبهم؛إما لأنهم مجهولو الأنساب، ومنه أبهم الأمر فهو مبهم ،إذا لم تعرف حقيقته،فهذا مبالغة وزيادة في وصفهم بالجهل(٢).

وقيل:إن البهم هي الصغار من أولاد الغنم والضأن والمعز جميعا،وقيل:أولاد الضأن خاصة(٣).

ولعل الرواية الثانية إذا كان المقصود بالبهم فيها:صغار الضأن والمعز،تشير من طرف خفي إلي أن هؤلاء الذين صاروا يتطاولون في البنيان هم أضعف أهل البادية،أما أهل الإبل فهم أهل الفخر والخيلاء

---

١ - من الآية ١من سورة النحل.
٢ - ينظر:فتح الباري جـ١ص١٥.
٣ - ينظر:صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ص١٩٧.

،والمعنى: في الكل أن أهل الفقر والحاجة تبسط لهم الدنيا، حتى يتباهوا في البنيان.

١٤-كذلك من اختلاف الروايتين: أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- عندما انتهى من الحوار، عبر في الرواية الأولى، بقوله: "ثم انطلق فلبثت مليا"، أي: وقتا طويلا، وظاهر هذه الرواية تخالف الرواية الثانية، الذي عبر فيها بقوله: "ثم أدبر الرجل فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ردوا عليَّ الرجل فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا".

ويمكن الجمع بين الروايتين: أن عمر- رضي الله عنه-في الرواية الأولى لم يحضر قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لهم في الحال، بل كان قد قام من المجلس فأخبر النبي- صلى الله عليه وسلم -الحاضرين في الحال، وأخبر عمر-رضي الله عنه-بعد ثلاث؛ إذ لم يكن حاضرا وقت إخبار الباقين([1]).

١٥-كذلك من اختلاف الروايتين: أن الرسول- صلى الله عليه وسلم -في نهاية الحوار ،أراد أن يخبرهم أن هذا جبريل-عليه السلام-جاء ليعلمهم أمور دينهم، فقال في الرواية الأولى: " فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"، وفي الرواية الثانية، قال: " هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم".

---

[1] - ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ص١٩٥.

في الرواية الثانية استخدم اسم الإشارة بدون توكيد"هذا جبريل"؛لأن اسم الإشارة يستخدم في المشاهد،ولما كان مشاهدا لهم لم يحتاجوا إلي توكيد.أو إنه انصرف عنهم منذ لحظات قليلة ولكن صورته ما زالت عالقة في أذهانهم.

بخلاف الرواية الأولى:"فإنه جبريل"،باستخدام حرف العطف "الفاء"،و"إن"،التوكيدية،واسمية الجملة،كل ذلك مؤكدات لهم ؛لأن هذه القصة من الأمور الغريبة التي عرضت عليهم ولم يألفوها من قبل،فإتيان جبريل –عليه السلام –في صورة رجل هذا أمر لم يألفوه من قبل،فاقتضى السياق أن يأتي الكلام مؤكدا بأكثر من مؤكد؛ليزيل كل شك قد يعلق بأذهانهم –وحاشا للصحابة أن يشكوا في كلام رسول الله– صلى الله عليه وسلم – ويثبت الأمر في وجدانهم.

أضف إلي ذلك:أن الرواية الأولى استخدمت ضمير الخطاب:"أتاكم يعلمكم دينكم"،أما الرواية الثانية ففيها التفات من الخطاب إلي الغيبة "هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم"، ولعل السر في هذا الالتفات أن هذه الدعائم التي بينها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مطالبة بها الأمة جمعاء،فانتقل السياق من الخطاب إلي الغيبة؛ليبين أن هذا الحديث مطالب به كل واحد من أمته– صلى الله عليه وسلم.أضف إلى ذلك أن أسلوب الالتفات يلفت الانتباه ويثير الذهن ، فرسولنا الكريم أراد أن يلفت انتباه الصحابة أنهم كانوا في حضرة أمين الوحي –جبريل–، وأن ما حدث بينه وبين الرسول من حديث عن

الإسلام والإيمان والإحسان شيء مهم، ولذلك يجب الإيمان بهذه الأشياء.

فضلا عن أن أسلوب الالتفات له وقعه الحسن وجرسه المميز؛ لأن في نقل الكلام من أسلوب إلي أسلوب تجديدا، وللجديد –كما يقولون – لذة تطرب لها النفس ويهفو لها القلب لما فيه من الطرافة،وذلك ادعى لنشاط السامع،وهذا ما عبر عنه الخطيب القزويني ،بقوله: "واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام،ووجه حسنه علي ما ذكره الزمخشري، هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلي أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظا للإصغاء من أجرائه علي أسلوب واحد ([1])".

علي عكس الرواية الأولى التي استخدمت ضمير الخطاب، وانتهجت نفس الأسلوب ؛من باب التثبيت والتوكيد للحاضرين ليبلغوا غيرهم.

أضف إلي ذلك :أن الرواية الأولى عبرت بالفعل الماضي "أتاكم"،الذي يفيد تحقق الوقوع،بينما نجد الرواية الثانية عبرت بالفعل المضارع "ليعلم الناس"،الذي يفيد التجدد والحدوث،ويصور الحدث –علي مر الأزمان وكر الدهور–كأنه واقع الآن.

---

[1] - الإيضاح للخطيب القزويني جـ١ص٨٦- ت/خفاجي-الطبعة الثالثة-المكتبة الأزهرية للتراث-١٤١٣هـ١٩٩٣م.

أو أن الروايــة الــتي اسـتخدمت الفعــل الماضــي ،كأنهــا خطــاب للحاضرين، والرواية التي اسـتخدمت الفعـل المضـارع ،كأنهـا خطـاب للغائبين ،ولكل من يأتي من أمة محمد- صلى الله عليه وسلم.

هـذا بعـض سـر اخـتلاف الروايتين،وسـيرى أضـعافه مـن يطيـل الوقوف علي دقائقهما،ويرهف الحس مع لطائفهما.

١- **المحور الثاني** :اختلاف الرواية في سياق بيان كون الإيمـان بـالله –تعالى –أفضل الأعمال.

الروايـة الأولى:" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَىُّ الْعَمَـــلِ أَفْضَلُ قَالَ « الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا ». قَالَ قُلْتُ ثُـــمَّ أَىٌّ

قَالَ « برُّ الْوَالِدَيْنِ ». قَالَ قُلْتُ ثُــمَّ أَىٌّ قَــالَ « الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ "[١].

الروايــة الثانيــة: " عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَىُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ « إِيمَانٌ بِاللَّهِ ». قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ « الْجِهَادُ فِــى سَبِيلِ اللَّهِ ». قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ « حَجٌّ مَبْرُورٌ »[٢]".

هذا الحديث الشريف بروايتيه يبين لنـا بعـض فضـائل الأعمـال الـتي ترقى بالمسلم أعلي الدرجات،وأفضل الحسنات التي تبوئه الفردوس الأعلى ،فكيف بمن جمع هذه الفضائل كلـها،فلا شـك أنـه يبلـغ مـن العليـاء كـل مكان.

من اختلاف الروايتين ودقائقهما البلاغية:

١– الرواية الأولى:كان السائل فيها معروفا ومصـرحا باسمـه:وهو عبد الله بن مسعود:"عن عبد الله بن مسعود ،قال:سألت رسـول الله –صلى الله عليه وسـلم–....".أمـا الروايــة الثانيــة لم يصـرح فيهـا بالسـائل:"عن أبـي هريـرة قال:سـئل رسـول الله –صـلى الله عليـه وسـلم...."،وجاء الفعـل فيهـا "سـئل"،مبنيا للمجهـول،بخلاف الرواية الأولى التي جاء الفعل فيها مبنيا للمعلوم "سـألت"،ويبني الفعل للمجهول إما للعلم بالفاعل،أو لغرض بلاغي آخر يسـتدعيه المقام والسياق.

---

[١] - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان – باب بيان كون الإيمان بالله- تعالي- أفضل الأعمال – جـ١ص٩٦رقم ١٣٧.

[٢] - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان –باب بيان كون الإيمان بالله –تعالي –أفضل الأعمال- جـ١ص٩٥رقم ١٣٥.

وبذلك تكون الرواية الأولى قد ذكر فيها المسند إليه،وهو عبد الله بن مسعود،وذكر المسند إليه؛ لأنه الأصل ولزيادة الإيضاح والتقرير للمسند إليه،ولفضائل الأعمال التي أخبر عنها رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

لأنه كما يكون المقتضى لذكر المسند إليه زيادة إيضاحه وتقريره ،يكون كذلك الداعي للذكر الإيضاح والتقرير لما أسند إليه وحكم به عليه،فإذا أراد المتكلم الإيضاح والتقرير للمعاني المنسوبة إلي المسند إليه،والأحكام المحكوم بها عليه عمد إلي ذكر المسند إليه؛ليبرز هذه الأحكام والمعاني في صورة بينة واضحة مؤكدة،ويكون السر الإيضاح والتقرير،وترى هذا السر ماثلا في هذه الرواية؛لأهمية هذه الفضائل التي أخبر عنها رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

بخلاف الرواية الثانية التي حذف فيها المسند إليه،ولعل السر وراء هذا الحذف هو الإيجاز،وعدم ذكر السائل لا يحدد صحابي بعينه، وفيه دلالة على حرص كل الصحابة على التعلم ، ومعرفة أمور دينهم من رسولهم الكريم.

ويمكن الجمع بين الروايتين في اختلاف السائل،لاختلاف المواقف،ولذلك نجد الأجوبة قد اختلفت من رواية إلي رواية،فكان - صلى الله عليه وسلم- يجيب علي حسب احتياج السائل.

٢-- ومن اختلاف الروايتين أن صيغة السؤال في الرواية الأولى: "أي العمل أفضل"،حيث جاءت بالإفراد ،فاحتاجت إلى تقدير،لأن أي لا تدخل إلا على جمع،والتقدير: أي العمل الصالح أفضل عند الله – عز وجل-وبذلك تكون هذه الرواية قد اشتملت علي إيجاز بالحذف.

أما صيغة السؤال في الرواية الثانية،كانت"أي الأعمال أفضل"، فدخلت "أي" ،علي الجمع ولم تحتاج إلي تقدير.

٣--وعندما سئل رسول الله --صلى الله عليه وسلم --عن فضائل الأعمال في الرواية الأولى قدم الصلاة ،ثم ثنى ببر الوالدين،ثم ختم بالجهاد في سبيل الله.وفي الرواية الثانية قدم الإيمان بالله --تعالى-،ثم ثنى بالجهاد في سبيل الله،ثم ختم بالحج المبرور.

ويمكن الجمع بين الروايتين من وجوه كثيرة:

الوجه الأول:أن ذلك اختلاف جواب جرى على حسب اختلاف الأحوال والأشخاص،فإنه يقال:خير الأشياء كذا ولا يراد به خير جميع الأشياء من جميع الوجوه،وفي جميع الأحوال والأشخاص، بل في حال دون حال،أو نحو ذلك،واستشهد في ذلك بأخبار منها عن ابن عباس --رضي الله عنهما-،أن رسول الله -- صلى الله عليه وسلم- قال:"حجة لمن لم يحج أفضل من أربعين غزوة،وغزوة لمن حج أفضل من أربعين حجة([1])".

الوجه الثاني:أنه يجوز أن يكون المراد من أفضل الأعمال كذا، أومن خيرها أو من خيركم من فعل كذا،فحذفت"من"،وهي مرادة، كما يقال:فلان أعقل الناس وأفضلهم،ويراد أنه من أعقلهم وأفضلهم، ومن ذلك قوله- صلى الله عليه وسلم-:"خيركم خيركم لأهله([2])"،ومعلوم أنه لا يصير بذلك خير الناس مطلقا.

الوجه الثالث:أنه قدم الجهاد علي الحج؛لأنه كان أول الإسلام،ومحاربة أعدائه والجد في إظهاره.

الوجه الرابع:أن الرواية الثانية قال فيها رسول الله --صلى الله عليه وسلم-عندما سئل فيها عن أفضل الأعمال"إيمان بالله ورسوله"،هذه الرواية تصرح بأن العمل يطلق علي الإيمان ،والمراد

---

[1] - ذكره الألباني في ضعيف الجامع برقم ٢٦٩٠.

[2] - أخرجه الترمذي في كتاب المناقب برقم ٣٨٩٥- وأخرجه الدرامي في كتاب النكاح برقم٢٢٦٠.

به–والله أعلم–،الإيمان الذي يدخل بـه في ملـة الإسـلام،وهو التصـديق بقلبـه والنطـق بالشهادتين،فالتصـديق عمـل القلـب والنطـق عمـل اللسان،ولا يدخل في الإيمـان ههنـا الأعمـال بسـائر الجـوارح كالصـوم والصلاة والحج والجهاد وغيرها؛لكونه جعـل قسـما للجهـاد والحـج، لقوله– صلى الله عليه وسلم–:"إيمان بـالله ورسـوله"،ولا يقـال هـذا في الأعمال ،ولا يمنع هذا من تسمية الأعمال المذكورة إيمانا([1]).

كذلك يقول ابن دقيق العيد:الأعمال هنا:أي في حديث ابن مسـعود محمولة علي البدنية،فلا تتناول أعمـال القلـوب،ولا تعـارض حـديث أبي هريرة:أفضل الأعمال:إيمان بالله،فالإيمان من أعمال القلوب ؛لأنه التصديق القلبي.

فإن قيل ورد في الروايتين العطف، ب"ثم"،وهي موضوعة للترتيب. فالجواب:أن"ثم"،هنا للترتيب في الذكر كما قال الله – تعالى-:"وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٣﴾فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا (٢)"، ومعلوم أنه ليس المراد هنا الترتيب في الفعل ؛لأن "ثم" في الآيات الكريمات بمعنى الواو(٣).

وقـد ذكـر صـاحب كتـاب ضـياء السـالك إلـي أوضـح المسـالك:وقد ترد"ثم"،للترتيـب الـذكري والإخبـاري،أي الـذي يقصـد بـه مجـرد الإخبار وسرد المعطوفات مـن غـير ملاحظـة ترتيـب كلامـي سـابق ولا ترتيب زمني حقيقي،كقول الشاعر:

---

[1] - ينظر:صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ص ٣٥٤-٣٥٦.
[2] - الآيات ١٢-١٧من سورة البلد.
[3] - ينظر:صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ص٣٥٥.

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده([1])([2])

٤-من اختلاف الروايتين أيضا: أن الرواية الأولى: استخدمت من أدوات الاستفهام "أي"، وهي اسم استفهام مبتدأ مبني علي الضم في محل رفع.

و"أي"، موضوعة "للسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، يقول القائل: عندي ثياب، فتقول: أي الثياب هي ؟فتطلب منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها في الثوبية، وفي التنزيل: " أيٌّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ([3])([4])".

والرواية الثانية استخدمت من أدوات الاستفهام "ماذا"، و"ما"، استفهامية ،و"ذا" اسم إشارة، والمعنى : ثم أي شئ أفضل بعد الإيمان بالله ورسوله.

و"ما"، يسئل "بها عن الجنس ،تقول ما عندك؟أي أجناس الأشياء عندك، وجوابه إنسان أو فرس....أو عن الوصف ،تقول: ما زيد وما عمرو؟، وجوابه الكريم أو الفاضل، وما شاكل ذلك([5])".

المحور الثالث :اختلاف الرواية في سياق بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل:

الرواية الأولى:" عَنْ أَبِي الْخَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ إِنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ –

---

[1] - ورد البيت في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ص ١٥٩- وفي شرح الأشموني علي ألفية ابن مالك -جـ١ص٢١١.

[2] - ضياء السالك إلي أوضح المسالك جـ٣ص ١٨٩.

[3] - من الآية ٧٣من سورة مريم.

[4] - الإيضاح للخطيب القزويني جـ٣ص٦٥.

[5] - مفتاح العلوم للسكاكي ص١٧٣. -ضبط وشرح أ/نعيم زرزور-دار الكتب العلمية – بيروت-الطبعة الأولى ١٤٠٣ه-١٩٨٣م

صلى الله عليه وسلم- أَىُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ قَالَ « مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ (١)".

الرواية الثانية:" عَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَىُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ قَالَ « مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ (٢)".

يبين لنا الرسول-صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث بروايتيه بعض الخصال التي ينبغي على المسلم أن يتحلى بها؛ليكون مسلما كامل الإسلام،ويصدق فيه حديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بأنه من خير المسلمين.

من اختلاف الروايتين ودقائقهما البلاغية:

١- الرواية الأولى كان السائل فيها مجهولا:"إن رجلا سأل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-"،ولم تحدد الرواية اسم هذا الصحابي.

الرواية الثانية كان السائل فيها معروفا:"عن أبي موسى ،قال:قلت:يا رسول الله ....".

وبناءً على ذلك تكون الرواية الأولى قد حذف فيها المسند إليه الذي أسند إليه السؤال،ولعل السر في حذفه هو الاختصار والإيجاز،أو لأنه لا يتعلق بذكره كبير فائدة.والرواية الثانية صرحت بالمسند إليه؛ لأنه الأصل أن يصرح به،أضف إلي ذلك أن التصريح به فيه زيادة توكيد وتوثيق لمضمون الخبر الذي اشتمل عليه الحديث.

---

١ - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان---باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل- جـ١ص ٧٢رقم ٦٣.

٢ - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان- باب تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل-جـ١ص ٧٢رقم ٦٦.

ويمكن الجمع بين الروايتين ،بتعدد المواقف واختلاف مواطن السؤال، حيث سئل رسول الله–صلى الله عليه وسلم– أكثر من مرة،وكان السائل فيهما مختلف،حيث صرح باسمه في موقف،ولم يصرح به في موقف آخر.

٢–صيغة السؤال في الرواية الأولى،جاءت بلفظ:"أي المسلمين خير؟"، وصيغة السؤال في الرواية الثانية عبر عنها،بقوله:"أي الإسلام أفضل"، كلتا الروايتين استخدمت أداة الاستفهام"أي"،ولكن في الرواية الأولى أضيفت إلي المسلمين:"أي المسلمين"،خير في إسلامه، والمراد من المسلمين المخلصين، حيث جاء في لسان العرب لابن منظور،في قوله تعالى:" وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ [١]"،أراد مخلصين لك[٢].ولذلك كان السؤال في هذه الرواية بالخيرية:"أي المسلمين خير".أضف إلى ذلك أن السائل في هذه الرواية يسأل الرسول–صلى الله عليه وسلم–عن المقدم من المسلمين في الخير ، وفي ذهنه أن صفة الخيرية متحققة في كل المسلمين، ولكن صفة الخيرية تزيد عند مَنْ ؟.

أما الرواية الثانية،فإن "أي"،فيها أضيفت إلي الإسلام:"أي الإسلام"، معناه:أي خصاله وأموره وأحواله أفضل، وجاء في لسان العرب لابن منظور:والإسلام:الانقياد ،والإسلام من الشريعة إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبى –صلى الله عليه وسلم–،وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه...فالإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به سيدنا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وبه يحقن الدم[٣].

وكان السؤال في هذه الرواية عن الأفضلية:"أي الإسلام أفضل"، و"أفضل"،أفعل تفضيل ،وأفعل التفضيل فيه شيء من المبالغة وزيادة

---

[١] - من الآية ١٢٨من سورة البقرة.
[٢] - ينظر:لسان العرب لابن منظور-جـ٦ص ٣٤٦مادة "سلم".
[٣] - ينظر:لسان العرب جـ٦ص ٣٤٥مادة "سلم".

الفعل،ولذلك جاء في الفروق اللغوية لأبـي هـلال العسـكري:بأن الفضـل لا يكون واجبا علي أحد،وإنما هو ما يتفضل به من غير سبب يوجبه([1]).كمـا أن أفعل التفضيل يفيد أن شيئين اشتركا في صفة واحدة ، وزاد أحدهما على الأخر في نفس الصفة.

فإن قلت:هـل هنـاك فـرق بين"أفضـل"،وبين"خير"؟،فمما لا شـك فيه أنهما من بـاب التفضـيل،لكن الفضـل بمعنـى كثـرة الثـواب في مقابلـة القلة،والخير بمعنى النفع في مقابلة الشر،والأول مـن الكميـة،والثاني مـن الكيفية([2]).

وبـذلك يتـبين لنـا أن الروايـة الثانيـة الـتي عـبرت بقولهـا:"أي الإسلام أفضل"،توحي أن الإسلام كله خير وأفضـلية بغـض النظـر في أهلـه ومسـلميه،ولذلك اسـتعملت مـن الألفـاظ "أفضـل"،بمعنى كثـرة الثـواب في مقابلة القلة،أي الإسلام لا يعدم من الخير والأفضلية.

أما الرواية الأولى التي عبرت بقولها:"أي المسلمين خير"،والخـير بمعني النفع في مقابلة الشر،أي هناك من المسلمين من هـو في طبعـه الشـر، ومن يعمل السوء،وهناك من يعمل الخير ويحب الخير ويدعو إلي الخير.

أضف إلي ذلك:أن الرواية الثانية فيها إيجـاز بالحـذف؛ لأن شـرط "أي"، أن تدخل علي متعدد،وههنا دخلت علـي مفـرد:"أي الإسـلام أفضـل"، لأن نفس الإسلام لا تعدد فيه، وتقدير المحذوف:أي أصحاب الإسـلام أفضـل، بخلاف الروايـة الأولى:"أي المسـلمين خير"،فـأي دخلـت علـي متعـدد ولم تحتاج إلي تقدير محذوف.

٣-كذلك من الفروق التي تلاحظ علي الروايتين:أن الرواية الثانيـة أورد عليها الكرماني اعتراضا وأجـاب عليـه ،وقال:بـأن الجـواب فيهـا لم

---

[1] - ينظر:الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري- ص ٢٠٥-ت/أبي عمرو عماد زكي-المكتبة التوفيقية.

[2] - ينظر:البخاري بشرح الكرماني جـ١ص٩٢.

يأت مطابقا للسؤال، وهذا ما يسمى عندنا في البلاغة خروج الكلام علي خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن السؤال عن الإسلام: "أي الإسلام أفضل"، فإن قلت: سأل عن الإسلام ،أي الخصلة، فأجاب : من سلم أي ذي الخصلة، حيث قال: من سلم ولم يقل هو سلامة المسلمين من لسانه ويده، فكيف يكون الجواب مطابقا للسؤال؟ قلت: هو جواب مطابق وزيادة من حيث المعنى، إذ يعلم منه أن أفضليته باعتبار تلك الخصلة، وذلك نحو قوله تعالى: " يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ (١)" ،أو أطلق الإسلام وأراد الصفة، كما يقال: العدل، ويراد العادل، فكأنه قال: أي المسلمين أفضل ،وبذلك يكون قد جمع بين الروايتين(٢).

كذلك ورد اعتراض آخر على الرواية الثانية: لأن أفعل التفضيل لا بد أن يستعمل بأحد الوجوه الثلاثة وهي الإضافة، ومن، واللام. قلت: قد يجرد من ذلك كله عند العلم به، كما في قوله تعالى:" يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٣)"، أي أخفى من السر، والتقدير ههنا: أي الإسلام أفضل من غيره، ومعنى الأفضل هو الأكثر ثوابا عند الله – تعالى-، كما تقول: الصدق أفضل من غيره، أي هو أكثر ثوابا عند الله – تعالى-من غيره(٤).

المحور الرابع :اختلاف الرواية في سياق رؤية الله-سبحانه وتعالى- يوم القيامة:

---

١ - من الآية ٢١٥من سورة البقرة.
٢ - ينظر:البخاري بشرح الكرماني جـ١ص ٩١.
٣ - من الآية ٧من سورة طه.
٤ - ينظر:عمدة القارئ جـ١ص ١٣٥-١٣٦.

الرواية الأولى:" عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « هَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ».

قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « هَلْ تُضَارُّونَ فِى الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ». قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِى صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِى يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى

يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِى صُورَتِهِ الَّتِى يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِى أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِى جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ ». قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِىَ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِى النَّارِ يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ

السُّجُودِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ. فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِى حَمِيلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَىْ رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِى عَنِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِى رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِى ذَكَاؤُهَا فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَهُ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ. فَيَقُولُ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِى رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ أَىْ رَبِّ قَدِّمْنِى إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لاَ تَسْأَلُنِى غَيْرَ الَّذِى أَعْطَيْتُكَ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ أَىْ رَبِّ

وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ.

فَيَقُولُ لاَ وَعِزَّتِكَ. فَيُعْطِى رَبَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَاب الْجَنَّةِ فَإِذَا قَامَ عَلَى بَاب الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُور فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ أَىْ رَبِّ أَدْخِلْنى الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ أَىْ رَبِّ لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ تَمَنَّهْ. فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِىُّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ (١).

الرواية الثانية: " عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ نَاسًا فِى زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ

---

١ - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان-باب معرفة طريق الرؤية- جـ١ص١٧٤،١٧٣،١٧٢ رقم٢٩٩.

-صلى الله عليه وسلم- قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « نَعَمْ ». قَالَ « هَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ». قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « مَا تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِى النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْغُونَ قَالُوا عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ

أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِى النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ مَاذَا تَبْغُونَ فَيَقُولُونَ عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. - قَالَ - فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِى النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِى رَأَوْهُ فِيهَا.

قَالَ فَمَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِى الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا - حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ

فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلاَّ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ وَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِى صُورَتِهِ الَّتِى رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ قَالَ « دَحْضٌ مَزِلَّةٌ. فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوسٌ فِى نَارِ جَهَنَّمَ. حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً

لِلَّهِ فِى اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِى النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِىَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا ». وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِىُّ يَقُولُ إِنْ لَمْ

تُصَدِّقُونِى بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) « فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتِ الْمَلاَئِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِى نَهْرٍ فِى أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِى حَمِيلِ السَّيْلِ أَلاَ تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ ». فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ قَالَ « فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِى رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ.

فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا أَىُّ شَىْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. فَيَقُولُ رِضَاىَ فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا (١)".

هذا الحديث برواياته المتعددة من الغيبيات التي أخبر بها المصطفى – صلى الله عليه وسلم–، والتي يجب الإيمان بها ، فمن أول صفات المؤمنين المتقين الواردة في أوائل سورة البقرة الإيمان بالغيب ، كما قال ربنا– عز وجل–: "الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ (٢)"، ومن هذا الغيب رؤية المؤمنين لربهم–سبحانه وتعالى–يوم القيامة، كما جاء في هذا الحديث.

ومن الجدير بالذكر: أن هناك جدلا واسعا في مسألة الرؤيا–أي رؤية المؤمنين لربهم –سبحانه وتعالى–يوم القيامة–،وقد كثر الخصام فمن العلماء من يقول: إن الله لن يُرى يوم القيامة، ومنهم من يقول: إنه سيرى ،فهذا الحديث بروايتيه يثبت ويؤكد أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة رؤية ظاهرة جلية كما تُرى الشمس صحوا ليس دونها سحاب ، وكما يُرى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، وهل بعد هذا البيان بيان ؟! ،ما أوضح هذا البيان وما أبينه وما أكمله، اللهم اجعلنا من الذين ينظرون إلى وجهه صباحا ومساءً ، اللهم آمين.

من اختلاف الروايتين وبعض دقائقهما البلاغية:

---

١ - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان- باب معرفة رؤية الله-جـ١ص١٧٥-١٧٩.
٢ - الآيات ١-٣من سورة البقرة.

١- من اختلاف الروايتين: طريقة عرض السؤال ، فالرواية الأولى وهي رواية أبي هريرة –رضي الله عنه –عرضت السؤال في صيغة :"أن ناسا قالوا لرسول الله –صلى الله عليه وسلم –:يا رسول الله :هل نرى ربنا يوم القيامة ؟"، والرواية الثانية – وهي رواية أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه– ،عرضت السؤال في صيغة :"أن ناسا في زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –قالوا :يا رسول الله :هل نرى ربنا يوم القيامة ".

الرواية الأولى زادت جملة " قالوا لرسول الله –صلى الله عليه وسلم–" ، وفي هذا تأكيد وتوثيق لسؤالهم الموجّه إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، بخلاف الرواية الثانية التي خلت من تلك الجملة ،وعوض عنها بقوله:"في زمن رسول الله"،مما يدلل أيضا أن السؤال وجِّه إلي رسول الله– صلى الله عليه وسلم –،وليس إلي أحد غيره، يعضد ذلك ويسانده قولهم بعده:" قالوا:يا رسول الله".

كما أن تقيد السائلين– في الرواية الثانية –بأنهم في زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–فيه إشارة وتأكيد بأنهم من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، مما يدلل علي شدة شوقهم وحنينهم إلي رؤية ربهم– سبحانه وتعالى–بالإضافة إلي الكشف عما كان يدور في أذهان هؤلاء الصحابة من انشغالهم بأمور الآخرة ،وعزوفهم عن أمور دنياهم، وهذا ما نفتقده نحن الآن ،فقد انعكست عند كثير منا الآية،وأصبح شغلنا الشاغل دنيانا، ونحينا آخرتنا جانبا.

أما الرواية الأولى لم تحدد الزمن، ولكنها كررت الجملة مرتين:" قالوا: لرسول الله يا رسول الله"، وهذا فيه ما فيه من البلاغة والإيضاح المترتب علي تكرار الجملة التي تؤكد أن السؤال وجِّه إلي رسول الله – صلى الله عليه وسلم–؛ لأنه وحده هو الذي يستطيع أن يجيب عن هذه

الأسئلة المرتبطة بالغيب، لأن الله خصه بقوله: " **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** (١)".

راوي الحديث في الرواية الأولى ، عندما عرض إجابة الرسول –صلى الله عليه وسلم– استخدم حرف العطف (الفاء)" فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟،قالوا: لا يا رسول الله،قال: فإنكم ترونه كذلك ". مما يدلل على سرعة ردود رسول الله –صلى الله عليه وسلم –على الصحابة، وتأكده من هذا الأمر البين الواضح الذي لا شك فيه ولا جدال ،وهذا ما أفصح عنه حرف العطف "الفاء".

أما في الرواية الثانية فإن الراوي عبر بقوله: "قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–"نعم"،قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب؟،وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟،قالوا: لا يا رسول ، قال: وما تضارون في رؤية الله –تبارك وتعالى–يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما".

فهذه الرواية عندما سئل فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– عن رؤية الله –سبحانه وتعالي–أجاب بقوله: "نعم"، في حين عدم وردوها في الرواية الأولى ، ولعل وردوها في الرواية الثانية فيه صورة من صور الإطناب،وهي التفصيل بعد الإجمال، فقوله– صلى الله عليه

---

١ - الآيتان ٣، ٤ من سورة النجم.

وسلم- :" نعم"، إجمال بأن المؤمنين سيرون ربهم يوم القيامة.كلٌ علي حسب عمله ودرجته في الجنة ، ثم بدأ يفصل لهم هذا الإجمال ويوضحه ويبينه ويضرب لهم الأمثال فقال:" هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ؟...."،والتفصيل بعد الإجمال يقدم المعنى في صورتين مختلفتين، أحدهما: مجملة ،والأخرى: مفصلة ،وبذلك يتمكن المعنى في نفس السامع ،ويرسخ في ذهنه، وهذه صورة من صور بلاغته صلى الله عليه وسلم .

أما الرواية الأولى التي لم ترد فيها لفظة "نعم"، وبدأت بسؤالهم أولا: هل تضارون...؟،فلعلها توحي بأن رسول الله —صلى الله عليه وسلم-استشعر بعض الشك منهم في رؤية الله-سبحانه وتعالى-، ولذلك أراد أن يأتي لهم بأمثلة واقعية في حياتهم اليومية-وهي رؤيتهم للشمس والقمر-، وعندما يقرون بذلك ،يخبرهم بأنهم يرون ربهم كرؤيتهم للشمس والقمر ، فيتمكن المعنى في نفوسهم فضل تمكن ويرسخ في أذهانهم إلي الأبد.

٣-من الفروق أيضا: أن الرواية الأولى قدم فيها رؤية القمر علي رؤية الشمس ، فجاء فيها:"هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا :لا يا رسول الله ، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟" أما الرواية الثانية: قدم فيها رؤية الشمس علي رؤية القمر، حيث جاء فيها :"هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟".

فلعل الرواية الأولى : التي قدم فيها القمر على الشمس، توحي بأن السؤال الذي وجِّه إلي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من قبل بعض الصحابة كان ليلا، فناسب الإتيان بالقمر مقدما علي الشمس، أو لعل رؤية القمر بالنسبة للحاضرين أوضح وأبين من رؤية الشمس

بالظهيرة ، لأن حرارة الشمس بالظهيرة قد تعكس شعاعا لا يستطيع الإنسان تحمله ، أما رؤية القمر بالليل فليس معها شعاع ولا حرارة، فتكون أيسر وأسهل، ولذلك قدمت ، بالإضافة إلى أننا نستمتع بضيائه.

وقد أورد ابن حجر تعليلا طريفا لسبب تقديمه رؤية القمر في الرواية الأولى ، فقال:في الابتداء بذكر القمر قبل الشمس متابعة للخليل ، فكما أمر باتباعه في الملة اتبعه في الدليل ، فاستدل به الخليل علي إثبات الوحدانية ، واستدل به الحبيب علي إثبات الرؤية ، فاستدل كل منهما بمقتضى حاله ، لأن الخلة تصح بمجرد الوجود، والمحبة لا تقع غالبا إلا بالرؤية([1]).

وقيل الحكمة في تقديم رؤية القمر على الشمس: لما فيه من التيسير في رؤيته للرائي بغير تكلف ولا تحديق يضر بالبصر بخلاف الشمس.

ثم أورد تعليلا آخر لعطف الشمس علي القمر ، مع أن تحصيل الرؤية بذكره كاف ، فقال:لأن القمر لا يدرك وصفه الأعمى حسا، بل تقليدا ، والشمس يدركها الأعمى حسا بوجود حرها إذا قابلها وقت الظهيرة مثلا، فحسن التأكيد بها([2]).

أما الرواية الثانية: التي قدمت رؤية الشمس علي رؤية القمر ، فلعلها توحي بأن السؤال وجِّه إلي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– نهارا، فناسب الإتيان بالشمس مقدمة علي القمر، ليكون التمثيل واقعا أمام أعينهم ، وفي ذلك ضرب من فطنته –صلى الله عليه وسلم– في ضرب الأمثال .

---

[1] - ينظر: فتح الباري جـ١ص ٤٥٦.
[2] - ينظر:فتح الباري جـ١ ص ٤٥٦

ويمكن الجمع بين الروايتين : بأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –أراد أن يجمع بين الرؤية البصرية والرؤية الحسية ، فإن القمر يرى بالعين، وأما الشمس في النهار فتحس بالأجساد، لأن حرارتها تسيطر علي جميع الأماكن التي يتواجد بها الإنسان ، فأراد أن يقرر بأن الله – سبحانه وتعالى- عندما يتجلي لخلقه فالمكان كله يشعر ويهتز ويطرب .

أو أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –أراد أن يقرر للمؤمنين بأن رؤيتهم لربهم – سبحانه وتعالي-لا تختلف عن رؤيتهم للشمس ولا للقمر من حيث الظهور والبيان ، فقدم في رواية القمر، وفي الأخرى الشمس .

وقيل خص الشمس والقمر بالذكر مع أن رؤية السماء بغير سحاب أكبر آية وأعظم خلقا من مجرد الشمس والقمر، لما خصا به من عظيم النور والضياء بحيث صار التشبيه بهما فيمن يوصف بالجمال والكمال سائغا شائعا في الاستعمال([1]).

٤-من اختلاف الروايتين أيضا :في الرواية الأولى :عندما سألهم رسول الله-صلى الله عليه وسلم- عن رؤيتهم للقمر، جاء التعبير بقوله:" هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟"، أما الرواية الثانية جاء التعبير فيها:"هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ".

فالرواية الثانية: اشتملت علي زيادة:"صحوا ليس فيها سحاب"،وهذا عند علماء البلاغة ما يسمى بالإيغال ؛حيث فيه زيادة بيان وتوضيح وتأكيد علي رؤية المؤمنين لربهم –سبحانه وتعالى- يوم القيامة، كما يرون القمر في تمامه، وليس هناك أي سحب تعوق رؤيتهم حال

---

[1] - ينظر: فتح الباري جـ١ ص ٤٥٦.

استيقاظهم وهم في أتم الإدراك والصحوة ، بخلاف الرواية الأولى التي خلت من هذه النكتة البلاغية.بالإضافة إلي دقة البلاغة النبوية التي عبرت بالظرف "في"، الذي يوحي بأن القمر في تلك الليلة لم يصاحبه أي سحاب ، مما ينعكس تلقائيا علي وضوح الرؤية وانكشافها، وهذا كله بدوره يعود إلي تأكيد رؤية المؤمنين لربهم—سبحانه وتعالى- يوم القيامة .

٥-من اختلاف الروايتين أيضا:أن الرسول — صلى الله عليه وسلم —في الرواية الأولى : قال:" هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟"، أما في الرواية الثانية، قال:"هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب؟".فالرواية الأولى: جاءت مشتملة علي حذف المضاف ، والتقدير: هل تضارون في رؤية الشمس ، ولعل الحذف هنا يشير إلي عموم الرؤية ، سواء كانت رؤية بصرية- ترى بالعين-، أو رؤية حسية-تحس بالجسد من شدة حرارتها وشعاعها ، ولذلك حذف المضاف يشير إلي كل هذه الإيحاءات ، أما ذكره في الرواية الثانية:"هل تضارون في رؤية الشمس"، فلعله جاء مطابقا لسؤال الصحابة — رضوان الله عليهم — عندما سألوه عن رؤية ربهم يوم القيامة، فذكر المضاف هنا فيه زيادة توكيد وبيان لرؤيتهم لربهم —سبحانه وتعالى- يوم القيامة ، أي إنكم سترونه كما ترون الشمس ، والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة والاختلاف ،و"ليس تشبيه رؤية الله برؤية الشمس والقمر تشبيها لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل علي علوِّ الله على خلقه ([1])".

٦- كذلك من اختلاف الروايتين أيضا:أن الرسول — صلى الله عليه وسلم-في الرواية الثانية :قيد رؤية الشمس بقيد أضفي على الرؤية

---

[1] - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز جـ١ص ٢١٩.

تأكيدا ووضوحا ويقينا، حيث قال: "هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة "، ولم يرد هذا القيد في الرواية الأولى، ولعل وروده هنا يوحي بأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، أراد أن يقول لأصحابه: إنكم سترون ربكم وتحسونه كما ترون الشمس وتحسون بحرارتها وقت الظهيرة ، وهي في أتم وأعلى درجات حرارتها وشعاعها ، لأنها في ذلك الوقت الجميع يشعر بحرارتها، وكل ذلك يضفي علي رؤية الله –سبحانه وتعالى – يوم القيامة، تأكيدا ووضوحا وجلاءً.

ولعل حذف هذا القيد من الرواية الأولى: حيث جاء فيها: "هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب"،جاء مناسبا لتسلسل أحداث الرواية ؛لأن هذه الرواية قدمت رؤية القمر علي الشمس ، مما قد يوحي بأن السؤال كان ليلا ، فكان من المناسب ترك هذا القيد. أو لعل حذفه يشير إلي عموم وشمول حرارة الشمس ،لأن حرارتها لا تقتصر علي وقت الظهيرة ، وبخاصة إذا كنت في إحدى دول الخليج ، فقد تشعر بحرارة الشمس منذ الساعة الثامنة صباحا ، ولا سيما في أيام الصيف .

٧–من الفروق أيضا بين الروايتين: أن الرواية الأولى : جاءت بلفظ: "ليس دونها سحاب"، وهذا يفيد ليس تحتها سحاب يعوق ويقلل من شأن الرؤية، أما الرواية الثانية فجاءت بلفظ: " ليس معها سحاب"،أي لم يصاحبها سحاب ، لئلا يلتبس علي الرائي هل هذه الشمس أم السحاب ؟.

ويمكن الجمع بين الروايتين: بأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، أراد أن يجلي ويوضح الرؤية أتم توضيح ، فذكر بأن الشمس ليس تحتها سحاب ، ولم يصاحبها سحاب، حتى يعوق من شأن

الرؤية، وكل ذلك ينعكس تلقائيا علي رؤية المولى- سبحانه وتعالى- يوم القيامة.

كذلك الرواية الثانية زيد فيها: "صحوا"،وهذه الزيادة توحي بجلاء الرؤية؛ لأن معنى "صحوا"،أي أن هذا اليوم وضحت شمسه، وقل بردُه.

٨- وعندما أقر الصحابة بأنه لا يشتبه عليهم ، ولا يرتابون في رؤية القمر أو الشمس ، فيعارض بعضهم بعضا في رؤيتهما ، أجاب الرسول -صلى الله عليه وسلم-بقوله في الرواية الأولى: "فإنكم ترونه كذلك"، بينما أجاب في الرواية الثانية بقوله: "ما تضارون في رؤية الله-تبارك وتعالى-يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما".

الرواية الأولى: "فإنكم ترونه كذلك"،اشتملت على الإيجاز وعدم التفصيل ؛لأنه سبق وأن وُضِّحَ لهم كيفية الرؤية من خلال سؤالهم عن رؤية القمر أو رؤية الشمس ، ولذلك جاءت إجابة الرسول -صلى الله عليه وسلم- مختصرة وموجزة؛ لتناسب المقام ، لأن هذه الرواية بدأت بالقمر، لأنه يحتمل أن يكون السؤال وجِّه إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ليلا، والليل لا يستحب فيه السهر طويلا ؛حتى ينشط الإنسان في آخره لقيام الليل ، ويقوى على صلاة الفجر.ومعنى قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "فإنكم ترونه كذلك"، تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة والاختلاف،أي: إنكم سترون ربكم يوم القيامة رؤية محققة لا شك فيها ولا مشقة ولا اختلاف كما ترون هذا القمر أو هذه الشمس رؤية محققة لا شك ولا اختلاف فيها.

هذا بالإضافة إلى أن هذه الجملة صدرت بفاء العطف: "فإنكم" ،التي تفيد الترتيب والتعقيب ردا على سؤال الصحابة واستجابة لأشواقهم المتلهفة لرؤية ربهم -سبحانه وتعالى- يوم القيامة، ناهيك

عن التوكيد وضمير الجمع، اللذان يؤكدان ويعضدان جلاء الرؤية ووضوحها.

أما الرواية الثانية فأطنب فيها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إطنابا بليغا يستدعيه المقام ، ويتطلبه السياق، ليؤكد للصحابة – رضوان الله عليهم-بأنهم لا يضارون أصلا في رؤية الله-سبحانه وتعالى- كما لا يضارون في رؤية الشمس أو القمر، وهذه صورة من صور الإطناب ،وهي التكرار لبعض الجمل التي تؤكد وتبرهن على أن رؤية الله- سبحانه وتعالى- يوم القيامة رؤية محققة لا شك فيها ولا جدال، وهذه الصورة من الأساليب النبوية البليغة التي كان يستخدمها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في توصيل الحقائق إلي صحبه الكرام –رضوان الله عليهم-؛ لتكون أنفذ إلي عقولهم ، وأمكن في أذهانهم ، وأرسخ في وجدانهم، من مجرد عرض الحقائق عليهم مباشرة ، وهذا ما أشار إليه أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي ، بعد ذكره لهذا الحديث، حيث قال:"ما الذي نراه في هذا السرد الأدبي الشائق يبتدئ بالسؤال الواضح ، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ؟ هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟ ما تضارون في رؤية الله-تبارك وتعالى-إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، أليس التصوير التمثيلي هنا أدل على المراد وأهدى إلى قرب إمكانه وتحقق وقوعه دون اعتراض ، وهذا أحد ما يهتم به البيانيون ([1])".

٩- وعندما تطرق رسول الله- صلى الله عليه وسلم-لأحداث يوم القيامة، عبر في الرواية الأولى بقوله:"يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس

[1] - البيان النبوي-د/محمد رجب البيومي –ص ١٥٢-دار الوفاء – المنصورة.

الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها".

وعبر في الرواية الثانية بقوله: "إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله- سبحانه وتعالى-من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود ، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟، قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله ، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى ، فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟، قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم: ماذا تبغون ؟، فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله-تعالى- من بر وفاجر".

الرواية الأولى: جاء التعبير فيها بالفعل المضارع "يجمع الله الناس"، الذي يستحضر المشهد في أذهان المخاطبين ، ويجعلهم يتفاعلون معه بأذهانهم ووجدانهم ، وكأنه واقع أمام أعينهم، وهذا فيه ما فيه من العظة والاعتبار. أما الرواية الثانية فجاء التعبير فيها بـ" إذا كان يوم القيامة" ، و"إذا " هنا شرطية تفيد تحقق الأمر المشروط ؛ لأن "إذا"، تستخدم في الأمر المتحقق الوقوع ، بخلاف "إن" الشرطية، ويوم القيامة واقع لا محالة، ولذلك نجد النظم القرآني عبر عنه بقوله: " أَتَى أَمْرُ اللَّهِ

فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ([1])"، والمعنى على الرواية الأولى: أن الرسول –صلى الله عليه وسلم–،أراد أن يستحضر مشاهد يوم القيامة في أذهان الصحابة – رضوان الله عليهم–، فاستخدم الفعل المضارع " يجمع"، والمعنى على الرواية الثانية:أن الرسول – صلى الله عليه وسلم–أراد أن يؤكد للصحابة –رضوان الله عليهم–تحقق وقوع يوم القيامة – ليستعدوا له ويقدموا له صالح أعمالهم، ويعبدوا الله –وحده لا شريك–؛ لأن كل أمة سوف تتبع ما كانت تعبده في الدنيا–فاستخدم "إذا" الشرطية التي تدل على تحقق الوقوع.

١٠– من الفروق بين الروايتين أيضا:أن الرواية الأولى بدأت بالإجمال ، فقالت:"من كان يعبد شيئا فليتبعه"، ثم فصلت ووضحت ، فقالت:"فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر"، وهذه صورة من صور الإطناب ، وهي التفصيل بعد الإجمال ، ولعل السر في التنصيص على ذكر الشمس والقمر مع دخولهما فيمن عبد دون الله، التنويه بذكرهما لعظم خلقهما ، ثم أجملت كذلك فقالت:"ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت"،وهذا إجمال أيضا ؛ لأن الطواغيت جمع طاغوت ، والطاغوت كل ما عبد من دون الله –تعالى–واتباعهم المقصود به في ذلك الوقت: استمرارهم على الاعتقاد فيهم ، وعلى هذا تكون العبارة من قبيل المجاز المرسل ، وعلاقته اعتبار ما كان . ويحتمل أن يتبعوهم بأن يساقوا إلي النار قهرا([2]).

المسند إليه في قوله –صلى الله عليه وسلم – في الرواية الأولى:" فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه" ، محذوف وأصل الكلام:فيقول الله – عز وجل_،وحذفه هنا للاختصار والاحتراز عن العبث ، لأنه سبق ذكره في قوله– صلى الله عليه وسلم–:" يجمع الله الناس يوم القيامة"،كما أن هذا

---

[1] - من الآية "١" من سورة النحل.
[2] - ينظر: فتح الباري جـ ١-ص ٤٥٦-٤٥٧.

الحذف يوحي بأن الأمر كله بيد الله –سبحانه وتعالى–فلا أحد يأمر وينهى غيره –عز وجل–.

١١– من الفروق أيضا :أن الرواية الأولى في الاتباع خصت القمر والشمس:" فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر"، والمراد من العبادة هنا عدم الاستجابة لدعوة الرسل –عليهم السلام–، كحال قوم إبراهيم –عليه السلام– ، وقد أخبر القرآن الكريم عن ذلك ، في قوله:"وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)([1]).

والرواية الثانية خصت اليهود والنصارى:" فيدعى اليهود ، فيقال لهم:ما كنتم تعبدون؟، قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله ، فيقال:كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى ، فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟، قالوا:كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد"، وكأنها تشير إلي هؤلاء الذين أضلوا الطريق وقلدوا آبائهم وأجدادهم وألغوا تفكيرهم ، حتى بعد إنزال الكتب السماوية عليهم التي أقرت وبشرت بأن الدين عند الله الإسلام ، ومع ذلك

---

[1] ـ الآيات ٧٥ـ٧٨من سورة الأنعام.

لم يهتدوا ولم يستفيدوا من هذه الكتب بل ظلوا في ضلالهم وتمادوا في طغيانهم.

١٢- ثم تعرض الرسول -صلى الله عليه وسلم-، لتثبيت الله -سبحانه وتعالى-لعباده يوم القيامة، فعبر في الرواية الأولى بقوله: " فيأتيهم الله-تبارك وتعالى-في صورة غير صورته التي يعرفون،فيقول: أنا ربكم،فيقولون: نعوذ بالله منك،هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا،فإذا جاء ربنا عرفناه،فيأتيهم الله-تعالى-في صورته التي يعرفون،فيقول: أنا ربكم،فيقولون: أنت ربنا،فيتبعونه"،أما الرواية الثانية فعبرت بقولها: " أتاهم رب العالمين-سبحانه وتعالى-في أدنى صورة من التي رأوه فيها،قال: فما تنتظرون؟تتبع كل أمة ما كانت تعبد،قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقرما كنا إليهم ولم نصاحبهم،فيقول: أنا ربكم،فيقولون: نعوذ بالله منك،لا نشرك بالله شيئا(مرتين أو ثلاثا)حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب،فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفوه بها؟فيقولون: نعم،فيكشف عن ساق،فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود،ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة،كلما أراد أن يسجد خرّ َعلى قفاه،ثم يرفعون رؤسهم،وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة،فقال: أنا ربكم،فيقولون: أنت ربنا".

الرواية الأولى بدأت بحرف العطف: "الفاء"،"فيأتيهم" ، التي تقوم بدور الربط بين الجمل مما يوحي بتتابع الأحداث بلا أي فاصل زمني ، بالإضافة إلي صيغة الفعل المضارع "يأتيهم" التي تستحضر الصورة في أذهان المستمعين، مما يجعلهم يتجاوبون ويتفاعلون مع الأحداث تفاعلا مباشرا ، وكأنهم في قلب الأحداث مما ينتج عنه سرعة الموعظة وشدة التأثير.

أما الرواية الثانية فجاءت بدون حرف العطف: "أتاهم"، ولعل عدم وجود حرف العطف، يوحي بأن هناك فاصلا كبيرا بين أحداث يوم القيامة ، وهذا الفاصل يشعر به العصاة والمذنبون فقط ،وذلك مصداقا لقوله –سبحانه وتعالى-: "يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ [١]"، أما الرواية الأولى التي استخدمت حرف العطف "الفاء" ،الذي يدل على تسلل وسرعة الأحداث، لعلها تشير من طرف خفي إلى أن أحداث يوم القيامة تمر علي المؤمنين مرورا سريعا ، ولعل هذا ما أشار إليه ربنا –تبارك وتعالى–في قوله: " فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنّهُ ظَنّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَى إِنّ رَبّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا [٢]".

أضف إلي ذلك أن صيغة الفعل في الرواية الثانية جاءت بالماضي: "أتى"، مما يدل على تحقق وقوع هذه الأحداث .

١٣- ومن اختلاف الروايتين أيضا في هذا السياق ، أن الرواية الأولى جاءت بلفظ الجلالة " الله"، "فيأتيهم الله–تبارك وتعالى–" أما الرواية الثانية فاختارت من أسماء الله "رب" أتاهم رب العالمين–سبحانه وتعالى–"، ولعل لفظ الجلالة" الله" ، الذي ورد في الرواية الأولى ، هو اللفظ العام لله –تعالى–، ويذكر هذا اللفظ دائما في مقام التخويف الشديد وفي مقام التكليف والتهديد ، ولعل السياق يستدعي ذلك ، لأن

---

[١] - الآية ٥من سورة السجدة.
[٢] - الآيات ٧-١٥من سورة الانشقاق.

الله –سبحانه وتعالى– حذر عباده كثيرا من يوم القيامة وما فيه من أهوال يشيب لها الولدان ، فقال في أكثر من موضع في القرآن الكريم: " اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١)"،وفي موطن آخر : " وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)"، والآيات في ذلك أكثر من أن تحصى ، أما الرواية الثانية استخدمت لفظ الربوبية ، الذي يعني بأنه هو المالك لهذا اليوم والسيد والمربي والهادي، وهذا اللفظ يذكر دائما عند ذكر فضل الله –تعالى– على الناس جميعا، مؤمنهم وكافرهم، فهو –سبحانه– المتفضل عليهم ، الذي أنشأهم وأوجدهم من عدم ، وأنعم عليهم بنعم لا تعد ولا تحصى ، ولذلك كان من المناسب استخدام لفظ الربوبية من باب عطف ورحمة الله– سبحانه وتعالى–على عباده في هذا اليوم العظيم،وهذا مصداق قول الله –تعالى–: "نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ (٣)"،فلعل الاختلاف بين الروايتين في استخدام الألفاظ يجمع بين كل هذه المعاني، ويوحي بأن الله–سبحانه وتعالى–، مع شدة غضبه في هذا اليوم إلا أنه مع المؤمنين رءوف رحيم ، يعاملهم بلطفه وكرمه وجوده ، ومما يعضد هذا المعنى ويسانده، إضافة لفظ"رب"، إلي العالمين، أجمع ، إنسهم وجنهم ، مسلمهم وكافرهم ، صغيرهم وكبيرهم ، فهو أرحم بهم من الوالدة على ولدها.

---

[١] ـ الآية "١" من سورة الأنبياء.
[٢] ـ من الآية ٢من سورة الحج.
[٣] ـ الآيتان ٤٩،٥٠من سورة الحجر.

١٤- ومن الاختلاف أيضا: أن الرواية الأولى عبرت عن صورته – سبحانه وتعالى- بقولها: " في صورة غير صورته التي يعرفون" ، أما الرواية الثانية عبرت بقولها: " في أدنى صورة من التي رأوه فيها"،وقبل أن أذكر الفرق بين الروايتين في هذا السياق ، يجدر بنا أن نذكر قول النووي عندما تعرض لهذه المسألة ، حيث قال: "اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين: أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها ، بل يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله- تعالى-وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله – تعالى-ليس كمثله شئ وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق ، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين ، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم. والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها ، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع([1])".

معنى قوله-صلى الله عليه وسلم-في الرواية الأولى: " في صورة غير صورته التي يعرفون"، أي: يأتيهم بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله ؛ ليختبرهم، وهذا آخر امتحان المؤمنين([2]).وهذه الرواية توحي بأن المقام مقام هائل يمتحن الله- تعالى- فيه عباده ؛ ليميز المحق من المبطل ، وذلك أنه لما بقي المنافقون والمراءون متلبسين بالمؤمنين والمخلصين زاعمين أنهم منهم وأنهم عملوا مثل أعمالهم([3]).

---

[1] - صحيح مسلم بشرح النووي-جـ١-ص ٢٩.
[2] - ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ص ٢٩.
[3] - ينظر: المفهم في شرح صحيح مسلم جـ ١ص ٤٤١.

وأما معنى قوله- صلى الله عليه وسلم-في الرواية الثانية: " في أدنى صورة من التي رأوه فيها" ،معنى: رأوه فيها، أي: علموها له وهي صفته المعلومة للمؤمنين، وهي أنه لا يشبهه شيء([1]).

١٥- ثم تعرض الرسول -صلى الله عليه وسلم-، لوصف الصراط ، فقال في الرواية الأولى: " ويضرب الصراط بين ظهري جهنم،فأكون أنا وأمتي أول من يجيز،ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل،ودعوى الرسل يومئذ:اللهم سلم،سلم "، وفي الرواية الثانية جاء التعبير بقوله: " ،ثم يضرب الجسر على جهنم،وتحل الشفاعة،ويقولون:اللهم سلم سلم".

الرواية الأولى استخدمت من حروف العطف "الواو" في قولها: "ويضرب"،التي تدل على ترتيب وتسلسل الأحداث بعضها على بعض بدون فاصل طويل ، ولعل ذلك يشير إلي حقيقة واضحة، وهي أن أحداث يوم القيامة تطول وتقصر على حسب إيمان العبد وقربه من ربه ، ولذلك نجد الرواية الثانية استخدمت من حروف العطف "ثم"، في قولها: "ثم يضرب"،التي تدل على التراخي ، وتوحي بأن الأحداث تمر على الكافرين مرورا بطيئا، وهذا ما أشار إليه حرف العطف "ثم".

كما أن الرواية الأولى عبرت بقولها: "ويضرب الصراط"،أي: يمد الصراط، فاختارت الصراط ؛ لما فيه من الرهبة والخوف والشدة ؛ لأن الصراط حفظ في أذهاننا بالهول والفزع – نسأل الله -سبحانه وتعالى-أن نجيزه بسلام وأمان ، وأن نمر عليه مرور البرق، اللهم آمين يا رب العالمين.

أما الرواية الثانية فعبرت عن الصراط بالجسر ، فقالت: "ثم يضرب الجسر"،ولعل فيها شيء من الاطمئنان والتهدئة النفسية، لأن

---

[1] - ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ص٣٣.

مدلول الجسر يوحي بالاتساع والمرور عليه بسهولة ، ولعل ذلك يشير إلي مرور المؤمنين عليه، الذين يمرون مرور البرق.

أو لعل الرواية الثانية تفسير للرواية الأولى وإيضاح لها؛ لأن علماء السلف أجمعوا على أن الصراط جسر يقام على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم ، أي منازلهم ، والآخرون يسقطون فيها ، أعاذنا الله الكريم منها([1]).

١٦- ومن اختلاف الروايتين أيضا في هذا السياق: أن الرواية الأولى عبرت عن الشفاعة بأسلوب القصر الذي جاء بطريق النفي والاستثناء: " ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل"،والنفي والاستثناء يفيد التوكيد ،وهو قصر صفة على موصوف ، حيث قصرت الكلام في هذا اليوم المهيب الشديد على رسل الله فقط ، ونفت الكلام عن باقي البشر جميعا ، وكل ذلك يوحي ويؤكد عظم هول هذا اليوم.

أما الرواية الثانية عبرت عن الشفاعة بقولها:"وتحل الشفاعة"،أي: تقع ويؤذن فيها، ولعل هذا التعبير من قبيل المجاز المرسل ، حيث عبر عن المسبب وهو الشفاعة، وأراد السبب وهو كلام الرسل في ذلك اليوم ، ونحن على يقين بأن كلام الرسل في ذلك اليوم منصب على الشفاعة.

١٧- كما أن الرواية الأولى اشتملت على صورة من صور الإطناب ، وهي الإيضاح بعد الإبهام، حيث جاء فيها:"ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم"،فقوله- صلى الله عليه وسلم-:"ودعوى الرسل يومئذ"، فيه إبهام وإخفاء، يستدعي سؤالا من السامع بأي شيء يدعون ؟فيأتي الإيضاح والجواب في قوله:"اللهم سلم سلم"،وهذه صورة من صور بلاغته – صلى الله عليه وسلم-التي تناسب المقام ، وتأتي لتشويق السامع ؛ لأن الإيضاح

---

[1] - ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي -جـ١ ص٣٠.

بعد الإبهام يقدم المعنى في صورتين مختلفتين: الأولى: مجملة ، والثانية: مفصلة، هذا بالإضافة إلي أن الإيضاح بعد الإبهام يحرك المشاعر ، ويوقظ الأحاسيس ، وينبه الأذهان، ويرسخ المعاني ؛لأن السامع عندما يسمع قول الرسول – صلى الله عليه وسلم-: "ودعوى الرسل يومئذ"، يتبادر إلي ذهنه ، يا ترى بأي شيء تدعو الرسل في هذا الوقت العصيب ؟ فتأتي الإجابة لترسخ وتثبت في الأذهان: " اللهم سلم سلم".

كما أن هذه الصورة البلاغية توحي بكمال شفقتهم ورحمتهم بالخلق ، وفيه أن الدعوات تكون بحسب المواطن ، فيدعى في كل موطن بما يليق به([1]).ولذلك -إتيانه صلى الله عليه وسلم -، بقوله: "يومئذ"، إشارة إلي أن دعوى الرسل في وقت الجواز فقط، وإلا ففي وقت آخر تجادل كل نفس عن نفسها([2]).

أما الرواية الثانية فقد حذف فيها المسند إليه: "ويقولون"، لأن "الواو" واو الجماعة، وهي راجعة إلي الرسل، أو المقصود بها الرسل، ولعل وراء حذف المسند إليه هنا شدة وعظم الموقف ، فالموقف بما فيه من أهوال وشدائد يستدعي الاختصار والإيجاز؛ لأن الناس في هول شديد ، لا يستدعي كثرة الكلام ، بخلاف الرواية الأولى التي صرحت بذكر المسند إليه ،"ودعوى الرسل" ، ولعل التصريح هنا يوحي بأن أذن الشفاعة أعطي للأنبياء فقط ، ولا يسمح بالكلام لأحد غيرهم.كما أن الرواية الثانية أيضا خلت من الإيضاح بعد الإبهام ، وعبرت مباشرة وبدون مقدمات بقولها: "اللهم سلم سلم"، وهذا فيه ما فيه من إيماء وإشارة إلي عظم وشدة الموقف وهوله.

كما أن الرواية الأولى اشتملت على بشرى عظيمة لأمة محمد – صلى الله عليه وسلم-، وهي قوله: "فأكون أنا وأمتي أول من

---

[1] - ينظر:صحيح مسلم بشرح النووي – جـ ١ ص ٣٠.
[2] - ينظر:المفهم شرح صحيح مسلم جـ١ص ٤٤٤.

يجيز"،والضمير للصراط ، والمعنى:أكون أنا وأمتي أول من يمضي على الصراط ويقطعه، بينما نجد خلو الرواية الثانية من هذه البشرى، إما اعتمادا على الرواية الأولى ، وإما لضيق وشدة هول الموقف.

ثم بدأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يصف جهنم وما فيها من أهوال، فقال في الرواية الأولى:" وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان،هل رأيتم السعدان؟ قالوا:نعم يا رسول الله،قال:فإنها مثل شوك السعدان،غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم المؤمن بقى بعمله،ومنهم المجازى حتى ينجى" ، وفي الرواية الثانية قال:" قيل:يا رسول الله،وما الجسر؟قال:دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك،تكون بنجد فيها شويكة يقال لها:السعدان".

الرواية الأولى بدأت بصورة تشبيهية تمثيلية صريحة ، ملتقطة من واقع البيئة العربية الصحراوية:" وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان"،والكلاليب:جمع كلُّوب وهي حديدة معقوقة الرأس يعلق فيها اللحم ،وقيل: إن الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم-:"وحفت النار بالشهوات([1])"، فالشهوات موضوعة على جوانبها، فمن اقتحم الشهوة سقط في النار؛ لأنها خطاطيفها([2]). والسعدان: نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب، وأراد الرسول –صلى الله عليه وسلم-من هذه الصورة التشبيهية بيان حال المشبه وتخويف السامعين من تلك الكلاليب التي لا مفر منها،فشبه الكلاليب التي تكون بجانبي الصراط ، بشوك السعدان، وهذه الصورة التشبيهية توحي بسرعة اختطاف الكلاليب وكثرة الانتشاب فيها مع التحرز والتصون تمثيلا لهم بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة، وتأمل دقة

---

[1] - أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة-باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات.

[2] - ينظر:فتح الباري –جـ ١ ص ٤٦٢.

البلاغة النبوية في اختيار الألفاظ ، فاختياره للكلاليب يوحي بشدة نهشها للناس يمينا وشمالا ، فلا ينجو منها إلا من كتب له النجاة ، واختياره لشوك السعدان ؛ لأنه يضرب به المثل في طيب مرعاه ، فيقال: مرعى ولا كالسعدان.ولذلك تكمن بلاغة هذه الصورة التشبيهية في أن النبي –صلى الله عليه وسلم–أراد أن يقرب لأصحابه كيف تعلق هذه الكلاليب بأجساد الناس ، وكيف تتخطف هذه الخطاطيف الناس وتعلق بأجسادهم، مثل شوك السعدان الذي يعلق، وإذا نشب لا يخرج .

أضف إلي ذلك هذا الاستفهام التقريري الذي يعضد الصورة التشبيهية ويرسخها في أذهانهم ، ويستحضرها في وجدانهم: "هل رأيتم السعدان؟"، فأجاب الصحابة بقولهم: "نعم يا رسول الله"، فأكد الرسول – صلى الله عليه وسلم الصورة مرة ثانية ، فقال: "فإنها مثل شوك السعدان"،إلا أنه وجد الأمر يستحق الاستثناء ، فقال: "غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله"، والاستثناء هنا إشارة إلي أن التشبيه لم يقع في مقدارهما ، وإنما أورده من باب التقريب فقط.

أما الرواية الثانية فجاءت في تشبيه بليغ حذفت منه أداة التشبيه، ووجه الشبه وجعل المشبه به خبرا عن المشبه لزيادة المبالغة في قوة المشابهة بين المشبه والمشبه به كأنه هو " قيل: يا رسول الله،وما الجسر؟قال: دحض مزلة([1]) فيه خطاطيف وكلاليب وحسك،تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان".حيث رسم رسول الله–صلى الله عليه وسلم–صورة رائعة لمشهد الجسر، وهي صورة كاشفة ، اكتملت أجزاؤها من حركة وصوت ولون ، فالحركة تجدها في انزلاق الأقدام ، والصوت تسمعه في تمزيق الخطاطيف والكلاليب للأجساد، واللون تراه في اللون الأسود للخطاطيف والكلاليب.

---

[1] - معنى دحض مزلة: أي تزلق فيه الأقدام ، ومزلة: أي تسقط فيه الأجساد.

والرواية الثانية زادت عن الرواية الأولى ، حيث فصل فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم–أحوال المؤمنين في المرور على الصراط ، حيث قال: " فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب"،وهذه تشبيهات بلاغية سريعة توحي بسرعة مرور المؤمنين على الصراط ، كل على حسب عمله ، حيث شبه النوع الأول منهم بأنه يمر كطرف العين ، والثاني كالبرق، والثالث كالريح ، والرابع كالطير، والخامس كأجاويد الخيل والركاب ، ووجه الشبه في كل هذه التشبيهات السرعة ، ونلاحظ أن هذه التشبيهات تنازلية بدأت من الأسرع ثم الأقل فالأقل على حسب الأعمال.

ثم بين رسول الله –صلى الله عليه وسلم–أقسام الناس في هذا الموقف ، فقال: " فناج مسلم،ومخدوش مرسل،ومكدوس في نار جهنم"،فالناس في هذا اليوم ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلا، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم.

وهذه صورة بيانية رائعة ، أسرت العقول، واستحوذت على الأفهام ، وسيطرت على الأذهان ، وأفحمت البلغاء، وكنت أريد أن أعلق عليها وأتوقف قليلا عند اختيار ألفاظها ، ولكنني عندما قرأت تعليق كلام أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي على هذه الصورة ، توقف ذهني عن التفكير ، وجف قلمي عن الكتابة ، وآثرت أن أنقل كلامه بالنص، حيث قال: " والجسر ما صفته ؟ وماذا يعترضه من الأهوال ، وما حال العابرين على اختلاف منازلهم على الصراط ؟ ألم يتكفل الحديث بتصوير ذلك أبدع تصوير، حين قال عنه: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك ، فيمر المؤمنون كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح، وكالطير،وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلم، ومخدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم ، أهناك وصف للصرط أبلغ مما قال محمد – صلى

الله عليه وسلم- ؟ وقد تحدث عنه في أقل من ثلاثة أسطر حديثا يرج النفس بأهواله الثقال([1])".

وهذه الصورة البيانية حركت مشاعر كثير من الأدباء والنقاد ، حتى قال عنها بعض الأدباء المحدثين: "صورة تعتمد على الوصف والتشبيه والموازنة ، فالصراط موضع تزل فيه الأقدام ، وفيه خطاطيف ...وهذا وصف، والصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف ...وهذه موازنة ، والناس يمرون كطرف العين وكالبرق وكالريح...وهذه تشبيهات ([2])".

أما الرواية الأولى فقسمت الناس في هذا الموقف إلي قسمين فقط، : " فمنهم المؤمن بقى بعمله،ومنهم المجازى حتى ينجى " ، وذكر العلماء في قوله – صلى الله عليه وسلم-، "المؤمن بقى بعمله"، ثلاثة أوجه:أحدها:المؤمن يقي بعمله ، باليم والنون ، ويقي بالياء والقاف، والثاني:الموثق بالمثلثة والقاف ، والثالث:الموبق ، يعني: بعمله([3]).وأما قوله:"ومنهم المجازى حتى ينجى"، فالمراد به عصاة المؤمنين الذين يأخذون جزاءهم في النار على حسب معاصيهم ، ثم تكتب لهم النجاة ويدخلون الجنة.

ثم تعرض رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، لصنف من الناس يخرجون من النار برحمة الله-سبحانه وتعالى-ممن قال : لا إله إلا الله ، فقال في الرواية الأولى: " فيخرجون من النار وقد امتحشوا ،فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل"، وفي الرواية الثانية قال عنهم:"فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة ، يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلي الحجر

---

[1] - البيان النبوي –أ د محمد رجب البيومي ص ١٥٢-دار الوفاء بالمنصورة- الطبعة الأولى-١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

[2] - التصوير الفني في الحديث النبوي –د/محمد لطفي الصباغ-ص٢١٥-طبعة المكتب الإسلامي –بيروت- الطبعة الأولى-١٤٠٣هـ١٩٨٣م.

[3] - ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي –جـ١ص ٣١.

أو إلي الشجر ما يكون إلي الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلي الظل يكون أبيض ، فقالوا: يا رسول الله ، كأنك كنت ترعى بالبادية ".

فرسول الله –صلى الله عليه وسلم–في كلتا الروايتين ، أراد أن يشبه هولاء الذين يخرجون من النار برحمة الله وفضله بعد أن يصب عليهم ماء الحياة ، بنبات الحبة في حميل السيل ، ووجه الشبه: السرعة والحسن والطراوة في كل ، لأن الغرض من هذه الصورة التشبيهية سرعة عودة أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.ولذلك جاء في عمدة القارئ :"والمعنى من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان يخرج من ذلك الماء نضرا حسنا منبسطا متبخترا كخروج هذه الريحانة من جانب السيل صفراء متميلة([1])".

وقد اختار رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ألفاظه بدقة متناهية ، فاختياره في الرواية الأولى للفظ "امتحشوا" ، يوحي بالإمعان في شدة إحراقهم ، لأن المحش: احتراق الجلد وظهور العظم([2]). وفي هذا دلالة واضحة على شدة حرارة نار جهنم ، وكيف لا ؟ وقد أوقد عليها ثلاثة آلاف سنة ، ألف سنة حتى أحمرت ، وألف سنة حتى ابيضت ، وألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة كالليل المظلم ، أعاذنا الله – برحمته وفضله–منها ومن كل ما يقربنا إليها.

وإضافة الماء إلي الحياة في الرواية الأولى ، إشارة إلى أنهم لا يحصل لهم الفناء بعد ذلك([3]).

واختياره لصورة المشبه به: "كما تنبت الحبة في حميل السيل"، فاختياره للحبة ،يوحي بسرعة عودة أبدانهم وأجسادهم إليهم ؛ لأن الحبة أسرع في النبات من غيرها. واختياره للفظ "السيل" ، لما يجتمع فيه

---

[1] - ينظر:عمدة القارئ شرح صحيح البخاري – جـ١ص ١٩٥.
[2] - ينظر:فتح الباري –جـ ١ ص ٤٦٧.
[3] - ينظر: فتح الباري-جـ ١ ص ٤٦٧.

من الطين الرخو الحادث مع الماء ، مع ما خالطه من حرارة الزبل المجذوب معه ، فكل هذا الاختيار يوحي بأن رسول الله–صلى الله عليه وسلم – ، كان عارفا بجميع أمور الدنيا ، بتعليم الله –تعالى– له وإن لم يباشر ذلك([1]).

إلا أن الرواية الثانية زيد فيها ، قوله– صلى الله عليه وسلم–: " ألا ترونها تكون إلي الحجر أو إلي الشجر ما يكون إلي الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلي الظل يكون أبيض ، فقالوا: يا رسول الله ، كأنك كنت ترعى بالبادية"،وهذه الزيادة فيها تنبيه على أن ما يكون إلي الجهة التي تلي الجنة يسبق إليه البياض المستحسن، وما يكون منهم إلي جهة النار يتأخر النصوع عنه فيبقى أصيفر وأخيضر إلي أن يتلاحق البياض ويستوي الحسن والنور ونضارة النعمة عليهم. ويحتمل : أن يشير بذلك إلي أن الذي يباشر الماء يعني الذي يرش عليهم ، يسرع نصوعه ، وأن غيره يتأخر عنه النصوع ، لكنه يسرع إليه ([2]).

وهذه الصورة التشبيهية مستمدة من واقع البيئة العربية ، التي يعرف الصحابة – رضوان الله عليهم–، المشبه به معرفة دقيقة، ويشاهدونه أمام أعينهم ليل نهار، حتى أن بعضهم من شدة إعجابه ودهشته بهذه الصورة ، بادر قائلا لرسول الله– صلى الله عليه وسلم–: " كأنك كنت ترعى بالبادية".

وزادت الرواية الثانية أيضا على الرواية الأولى ، صورة تشبيهية ثانية لهؤلاء الذين يخرجون من النار بفضل الله ورحمته، حيث ورد في آخرها: "فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم ، يعرفهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير

---

[1] - ينظر: فتح الباري – جـ ١ ص٤٦٨.
[2] - ينظر: فتح الباري – جـ ١ ص ٤٦٨.

قدموه".فرسول الله –صلى الله عليه وسلم–، يشبههم بعد اغتسالهم باللؤلؤ ، بجامع الصفاء والبياض واللمعان في كل.

وقد جاءت صورة المشبه به مقيدة ، بقوله:"في رقابهم الخواتم"، ولعل القيد هنا يشير إلي أن ذلك علامة لهم يعرفون بها من بين الخلائق ، أن هؤلاء عتقاء الله من النار، الذين دخلوا الجنة بدون عمل عملوه.

الخاتمة

الحمد لله عدد خلقه ، ورضا نفسه ،وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، والصلاة والسلام على أفضل خلق الله ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلي يوم الدين.

وبعد

لقد تمخضت هذه الدراسة عن نتائج ، كان أهمها:

أولا: أدى اختلاف الرواية في الحديث النبوي إلي إثراء البلاغة بعلومها الثلاثة؛ لأن التنوع في الأساليب يثري المتلقي من خلال نظره في تصرف البليغ في أساليبه بما يتناسب مع طبيعة المخاطب ، وسياق الخطاب وموضوعه ، فحينما نجد تشبيها في رواية ما ، وخلو الرواية الأخرى منه ، فإن ذلك يترتب عليه اختلاف كبير في المعنى ؛ لأن صورة المعنى مع التشبيه تكون أكثر تفصيلا وأيسر في الوصول إلي المخاطبين ، مع العلم بأن الرواية التي خلت من التشبيه جاءت في أتم المناسبة لسياقها الذي وردت فيه ، وكذلك الحال في اختلاف أساليب التوكيد ، واختلاف حروف العطف ، مما يحكي اختلاف الموقف النفسي لدى المتكلم ، وحال المخاطبين إلي استلزام هذا التوكيد أو عدمه.

ثانيا: إن اختلاف الرواية في الحديث النبوي ، إما أن يكون سببه تعدد الحدث موضع الحوار، وإما أن يكون سببه شهود كثير من الرواة للحدث، فيرويه كل واحد منهم من خلال مشاهدته للحدث وفهمه لطبيعة الحوار، وقدرته على التعبير عن ملابسات الحديث ، "ذلك أن البلاغة – كما نص المحققون من البلاغيين–في الفهم والتذوق كما تكون في النطق والإفهام، وأن الآخذ عنك شريك لك في الذي تقول وتكتب...وأن البلاغة لا تتوفر لها الحياة بمبدعين جيدين فحسب ، وإنما لا بد لها من جمهور من المتذوقين ، يعرفون للكلام حقه ، وينفذون إلي لبه وسره والمغزى منه، وأن الكلام العالي إذا علق في الهواء ، ولم يجد قلوبا يَقَرَّ فيها ، وتعالجه، وتدارسه يصير إلي مضيعة ، وهذا يوجب أن تكون العناية بتربية القدرة على الفهم والتحليل، والتذوق عِدلَ تربية القدرة على الإبداع ، والإنشاء والابتكار([1])".

---

[1] - مراجعات في أصول الدرس البلاغي –أ د محمد محمد أبو موسى-ص٥٩.

ثالثا:كانت هذه الدراسة بمثابة الرد القاطع على هؤلاء الملحدين الذين اتخذوا من اختلاف الرواية مطعنا في الحديث النبوي ، ونادوا بالتخلي عن السنة النبوية وتعطيلها ، وأثبتت لهم أن اختلاف الرواية من تنوع أساليبه – صلى الله عليه وسلم-، ومقدرته البليغة في توصيل المعنى بأكثر من أسلوب على حسب احتياج المخاطبين له .

رابعا:أثبت البحث أهمية دراسة التوجيه البلاغي لاختلاف الرواية في الحديث النبوي،للوقوف على معان جديدة تنكشف وتتمخض عن هذا الاختلاف النبوي ، مما يؤكد لنا عمق وثراء الأساليب النبوية التي لا ينقطع مددها.

فهرس المصادر والمراجع:

[١]– – أثر اختلاف الأسانيد والمتون في اختلاف الفقهاء – د/ماهر ياسين فحل –الطبعة الأولي–دار عمار للنشر والتوزيع ––١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٢-أساس البلاغة للزمخشري –الطبعة الثالثة-طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب-١٩٨٥م.

٣--الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني- ت/خفاجي-المكتبة الأزهرية للتراث-الطبعة الثالثة- ١٤١٣هـ١٩٩٣م.

٤-البخاري بشرح الكرماني-دار إحياء التراث العربي-بيروت-الطبعة الثانية-١٤٠١هـ١٩٨١م.

٥--البيان النبوي-د/محمد رجب البيومي --دار الوفاء – المنصورة

٦- تدريب الراوي للسيوطي - ت عبدالوهاب عبد اللطيف- الطبعة الثانية – المكتبة العلمية بالمدينة المنورة-١٩٧٢م.

٧-التصوير الفني في الحديث النبوي –د/محمد لطفي الصباغ-ص٢١٥- طبعة المكتب الإسلامي –بيروت- الطبعة الأولى-١٤٠٣هـ١٩٨٣م.

٨-التمييز لمسلم بن الحجاج -ت د/محمد مصطفى الأعظمي – مطبوعات جامعة الرياض

٩- التوجيهات النحوية في ضوء اختلاف الرواية في الحديث النبوي أد /محمد أحمد علي سحلول-بحث منشور في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة-العدد السادس عشر-١٤١٨هـ١٩٩٨م.

الجامع الصحيح أو سنن الترمذي-ط دار الكتب العلمية –بيروت لبنان.

١١- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي-دار المنار-ط١٩٩٢م.

١٢- دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصر لمحمد أبي شهبة -الطبعة الأولي-الدار السلفية لنشر العلم-القاهرة-١٤٠٩هـ١٩٨٩م

١٣- دليل الفالحين شرح رياض الصالحين –لابن علان-ط دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولي-١٩٨٥م.

١٤- سنن أبي داود-ط دار الكتب العلمية.
١٥- شرح أحاديث من صحيح البخاري-دراسة في سمت الكلام الأول أ٠دمحمد محمد أبوموسى-الطبعة الأولى-مكتبة وهبة-١٤٢١هـ٢٠٠١م.
١٦- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز-ت/أحمد محمد شاكر.
١٧- صحيح مسلم بشرح النووي -ت عصام الصبابطي-ط دار الحديث-الطبعة الأولي ١٩٩٤م.
١٨- علوم الحديث لابن الصلاح -ت نور الدين عنتر-طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة-١٣٨٦هـ١٩٩٦م.
١٩- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام العيني-ط دار إحياء التراث العربي-بيروت.
٢٠- فتح الباري لابن حجر العسقلاني-ت/محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب-دار الريان للتراث -الطبعة الأولي -١٤٠٧هـ١٩٨٦م.
٢١- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري-ت/أبي عمرو عماد ذكي-المكتبة التوفيقية.
٢٢- القاموس المحيط للفيروز آبادي-موئسة الحلبي للنشر والتوزيع.
٢٣- قواعد التحديث للقاسمي -ط دار الكتب العلمية-الطبعة الأولي-١٩٧٩م.
٢٤- لسان العرب لابن منظور-دار إحياء التراث العربي-الطبعة الأولى-بيروت-١٩٨٨م.
٢٥- لمحات في أصول الحديث د/محمد أديب صالح -ط الثانية-المكتب الإسلامي بيروت
٢٦- مراجعات في أصول الدرس البلاغي -أ د محمد محمد أبو موسى-

٢٧- مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري-ت/محمد محيي الدين عبدالحميد-المكتبة العصرية-١٤١١هـ١٩٩١م.
٢٨-مفتاح العلوم للسكاكي-ضبط وشرح أ/نعيم زرزور-دار الكتب العلمية -بيروت-الطبعة الأولى ١٤٠٣ه-١٩٨٣م.
٢٩- المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي-دار الكتاب المصري.
٣٠-مقاييس اللغة لأحمد بن فارس-ت/عبدالسلام هارون-الطبعة الثالثة-مطبعة الحلبي.
٣١- المطول لسعد الدين التفتازاني-ط دار الكتب العلمية-الطبعة الأولي
٣٢-منهج النقد في علوم الحديث د/نور الدين عز -ط دار الفكر-دمشق ١٩٨١م.
٣٣- مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ضمن شروح التلخيص-ط دارالكتب العلمية-بيروت لبنان.
٣٤- النهاية في غريب الحديث والأثر – لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ـــت طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي – ط المكتبة العلمية –بيروت-١٣٩٩هـ١٩٧٩م.
٣٥- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث للأستاذ الدكتور/محمد بن محمد أبو شهبة- -عالم المعرفة جدة.